المنهج السلفي
بين
العداء والمضاء

متابعات وتعقيبات على أحداث الثورة
والمشاركة السياسية في ضوء الكتاب والسنة

تأليف
عاطف بن عبد المعز الفيومي

منهاج النبوة
الطبعة الثانية منقحة ومزيدة

المنهج السلفي
بين العداء والمضاء

متابعات وتعقيبات على أحداث الثورة والمشاركة السياسية
في ضوء الكتاب والسنة

تأليف

عاطف بن عبد المعز الفيومي

الطبعة الثانية منقحة ومزيدة

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الثانية منقحة ومزيدة

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

تنبيه

لا يجوز تصوير أو تنضيد أو طباعة الكتاب إلا بموافقة من المؤلف أو من المكتبة الناشرة صيانة لحقوق الجميع ومراعاة لعامل الحق الشرعي.

بريد المؤلف

at_2000m@yahoo.com

مُقَدِّمَة

الحمد لله تعالى، والصلاة والسلام على رسول الله - محمد بن عبد الله - وعلى آله وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فإن الدعوة الإسلامية دعوة الحق، دعوة ماضية إلى يوم القيامة بموعود الله تعالى ورسوله، ومنتصرة في نهاية الطريق الطويل ولا ريب، ولا يشك في هذا، أو يتزعزع فيه إلا منافق معلوم النفاق.

وفي الفترات المتأخرة من حياة الأمة الإسلامية، وقع فيها أنواع وألوان من الذل والاستبداد واستعلاء سلطان الباطل كثيرًا، ذلك لما حل بالعالم الإسلامي من عقبات ونكبات، وهجمات استعمارية، جعلت خلفها جيلًا جرارًا، من تلاميذهم، الذين سلطوا على شعوبهم المسلمة باسم الحكم والسلطان تارة، وباسم الثقافة والعلم تارة أخرى.

وهؤلاء جميعًا جمعوا بين الجهل بحقائق الإسلام الصافية، الذي هو دينهم وملتهم، وبين التقليد الأعمى، والاستغراب الزاحف من بلاد الإفرنج والغرب، وهذا لا عجب فيه إذا وقع منهم، إذ أن هذا من عواقب الإعراض عن منهج الله ورسوله وشريعته.

إلا أن الله تعالى من سننه الجارية التبديل والتغيير، وهذا من عدله وحكمته تعالى، فقد وقع في هذا العام ١٤٣٢ للهجرة، الموافق ٢٠١١ مسيحي، عدد من الثورات والتطورات في كثيرًا من الدول العربية والإسلامية، والتي تطالب بحقوقها، وتطالب بأحلامها في طريق التحرر من الظلم والاستبداد، الذي طالهم عدة عقود متتالية.

ولا شك أن وقوع مثل هذه الأحداث وقع فيه كثير من المخالفات الشرعية للنصوص من الكتاب والسنة، إلا أن هناك عدد من الذين لا يريدون خيرًا بالأمة من مدارس العلمانية والليبرالية وغيرها، يريدون سرقة هذه الثورات مرة أخرى إلى حظيرتهم، والاستقواء بالغرب ثانية على أهل ملتهم وأوطانهم، ولا شك أن هذا الأمر خيانة لله والرسول والوطن.

حتى أن هناك أيضًا من يتحدث باسم العلم والدين، وقع في هذا المستنقع الآثم، وجهر بعدائه للاتجاهات السلفية، التي تريد الطريق إلى الإسلام وفق منهج الكتاب والسنة، كما كان عليه السلف الصالح.

وعلى الجانب الآخر حدوث عدة مواقف متباينة من بعض أبناء الاتجاه السلفي في بعض مواقفه في التغيير والإصلاح، وموقفه من المشاركة السياسية والبرلمانية، وكان ولا بد لنا أن نقف معها.

وقد نثرت بفضل الله تعالى عدة كلمات ومقالات في كل ذلك، منها في الخطب والمحاضرات بالمساجد، ومنها ما كان بموقع الألوكة الإلكتروني الدعوي، على شبكة المعلومات، ومنها في مواقع أخرى، وقد سألت الله تعالى التوفيق والإخلاص والسداد، وكتبت ذلك دفاعًا عما اعتقد أنه الحق.

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – وعلى آله وصحبه أجمعين..

كتبه

أبو شهاب الدين

عاطف بن محمد بن عبد المعز الفيومي

فيصل – الجيزة

الفصل الأول

المنهج السلفي بين الواقع والثورات

وطريق التغيير والإصلاح

تنبيهات لا بد منها

في بداية حديثنا في هذا الكتاب، الذي نؤكد فيه على عدة محاور مختلفة ومهمة، منها المتعلق بالاتجاه السلفي بين التأصيل والواقع، ومنها المتعلق بأحداث الثورات الجارية، ومنها المتعلق ببعض الردود العامة والتعقيبات، كان ولا بد لنا من الوقوف على عدة تنبيهات مهمة وضرورية، قبل الشروع في عملنا هذا، ونجملها في عدة نقاط كما يلي:

الأمر الأول: الموقف من الخروج على ولاة الأمر والحكام الجائرين وإحداث الثورات:

نوجز المقال فيه فنقول: إن منهجنا وعقيدتنا كأهل سنة وجماعة واضح بين، لأننا نعتقد أن من منهجنا حسن السمع والطاعة لولاة الأمر وأئمة العدل والهدى، وذلك ما أطاعوا الله ورسوله، فإن عصوا في شيء منها فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

وأما أئمة الظلم والجور، والمجاهرون منهم ببعض الفسق والفجور، فنرى مناصحتهم وتوجيههم لما فيه الخير للتي هي أحسن، وذلك بالطرق الشرعية المرعية القويمة، وترك متابعتهم على فسقهم وفجورهم وغيهم الذي وقعوا فيه، وذلك ما أقاموا الصلاة، ولم يظهروا للأمة كفرًا بينًا فيه من الله برهان.

كما نرى أن كثيرًا من حكام زماننا هم بالأصل لا يقيموا الإسلام حقًا في بلادهم وشعوبهم، وأنهم أصبحوا عملاء خونة لدينهم وأمتهم، وأنهم ساهموا كثيرًا في إفساد بلاد المسلمين في كثير من جوانب شؤونهم وحياتهم، ولا ينازع في هذا عاقل بصير.

إلا أننا لا نرى – مع ذلك الحال السيء – الخروج عليهم، ومقاتلتهم على الملك والسلطان لإقامة الشرع والدين كله، وإحداث الانقلابات والثورات، والخروج والعويل

في المظاهرات والتجمعات، بل نعتقد بوجوب الصبر عليهم، ومناصحتهم، وإرشادهم، ومن ذلك كلمة حق عند سلطان جائر، وفرق كبير بين كلمة حق تظهر للمناصحة والحق، وبين تأليب القلوب على الحاكم والدعوة للخروج عليه.

وإن نصوص الشرع الحنيف، من الكتاب والسنة والإجماع، دلت على كل ذلك، وأكدت عليه أيما تأكيد، لأن الملك بيد الله وحده، يؤتيه من يشاء، وينزعه ممن يشاء بعدله وقدرته وحكمته تعالى، ولأن مآلات الخروج على الحكام الجائرين، فيها من المفاسد والشرور ما الله تعالى به عليم، وقد جاءت الشريعة ومقاصدها، بأن درء المفاسد مقدم ولا ريب على حصول وجلب المصالح، وسد باب الذرائع المفضية إلى الفتنة والشر والقتال، لمن أعظم مقاصد الشرع والسنة.

وقد جاء في الحديث قوله – صلى الله عليه وسلم –: "السمعُ والطاعةُ على المرء المسلم فيما أحبَّ وكرِهَ ما لم يُؤمَر بمعصيةٍ، فإذا أُمر بمعصيةٍ فلا سمعَ ولا طاعة" رواه البخاري.

وقولُه أيضًا – صلى الله عليه وسلم –: "عليك السمعَ والطاعةَ في عُسرِك ويُسرِك، ومَنشَطِك ومَكرَهِك، وأثرَةٍ عليك" رواه مسلم.

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: "إن خليلي أوصاني أن اسمعَ وأُطيعَ، وان كان عبداً مُجَدَّعَ الأطْرافِ" رواه مسلم.

ولا يمنع القول هنا بأن نقول، لقد حدثت في تاريخ أمتنا بعض الأمور الاجتهادية من بعض الصحابة والتابعين، بل وأئمة الهدى والدين، تأولوها تارة، وأرادوا بها المناصحة أخرى، وأرادوا منع الظلم والجور ثالثة، فنجد منهم من اجتهد فخرج على بعض حكام وأئمة الجور في زمانهم، ووقع القتال كثيرًا، واشتدت الفتنة في تلك الوقائع والأحداث.

وقد وقع عدة حوادث من ذلك الخروج في تاريخنا، مما أدى إلى قول بعض أهل العلم ممن يعتبر قولهم ولا ريب، بجواز عزل الحاكم الفاجر الظالم، أو منهم من قال بوجوبه والخروج عليه، إذا كان ذلك يؤدي إلى تحقيق المصالح ودرء المفاسد، وأيضًا إذا لم يكن في خروج الناس عليه مفاسد أعظم وأشد، كالقتل والسرقة، وانتهاك الأعراض، وسلب الأموال.

واستدلوا ببعض من خرجوا من الصحابة والتابعين، وأئمة الهدى والدين، والحق الذي نعتقده هنا، أننا نرى ذلك أنه كان من باب الاجتهاد منهم، وحسن المراعاة لمقاصد الشرع والواقع، إلا أن الصبر والمناصحة، هي السنة النبوية الجليلة القائمة، والتي يجب أن تكون فوق كل اجتهاد وقول وتأويل، والمتأمل في أدلة الصبر على أئمة الظلم والجور، يراها أسلم وأعلم وأحكم، في تحقيق مصالح العباد والبلاد في العاجل والآجل.

وقد وصف النبي – صلى الله عليه وسلم – أئمة الظلم والجور، وبين مكرهم وخداعهم وشدة بأسهم، إلا أنه مع ذلك الحال، لم يأمر بالخروج عليهم، ولا بقتالهم، ولا بنقض بيعتهم، ما داموا يقيمون الصلاة، وما لم يظهروا للناس الكفر البواح، الذي لا يختلف فيه اثنان، بل وأمر بضد الخروج والمنازعة لهم سلطانهم، وهو الأمر بالصبر والمناصحة لهم، وقول كلمة الحق في مناصحتهم دون خشية أو مداهنة لهم، وهذا هو منهج النبوة المحمدية، في التعامل مع الفتن وأهلها.

وقال الإمام أحمد في عقيدته ومنهجه: «ولا يحل قتال السلطان ولا الخروج عليه لأحد من الناس، فمن فعل ذلك فهو مبتدع على غير السنة والطريق".

وقال الإمام أبو جعفر الطحاوي في بيان عقيدة أهل السنة: "ولا نرى الخروجَ على أئمَّتِنا ووُلاة أمورنا وان جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا نَنْزِعُ يداً مِن طاعتهم، ونرى طاعتَهم مِن طاعة الله عزَّ وجلَّ فريضة، ما لم يأمروا بمعصيةٍ، وندعو لهم بالصّلاح والمعافاة".

وعن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: سمعت رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: "خيارُ أئمَّتكم الذين تحبُّونهم ويحبّونكم، وتُصلُّون عليهم ويُصلُّون عليكم، وشِرارُ أئمَّتكم الذين تُبغضونهم ويُبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم، قالوا: قلنا: يا رسول الله! أفلا ننابذُهم عند ذلك؟ قال: لا! ما أقاموا فيكم الصلاةَ، لا! ما أقاموا فيكم الصلاةَ، ألا مَن وليَ عليه والٍ، فرآه يأتِي شيئاً مِن معصيةٍ، فليكره ما يأتِي مِن معصية الله، ولا ينزعنَّ يداً مِن طاعةٍ" رواه مسلم.

وعن أمّ سلمة رضي الله عنها عن النَّبيِّ - صلى الله عليه وسلم - أنَّه قال: "انَّه يُستعمل عليكم أُمراءُ، فتعرفون وتنكرون، فمن كره فقد برئَ، ومَن أنكر فقد سلِم، ولكن مَن رضي وتابع، قالوا: يا رسول الله! ألا نقاتلُهم؟ قال: لا! ما صلّوا" رواه مسلم.

وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه في حديثٍ طويلٍ، وفيه: "ثلاثُ خصال لا يغِلُّ عليهنَّ قلبُ مسلم أبداً: إخلاص العمل لله، ومناصحةُ وُلاة الأمر، ولزومُ الجماعة، فانَّ دعوَتَهم تُحيطُ مِن ورائهم" رواه أحمد في مسنده وهو صحيح.

وذكر الإمام النووي في "شرحه على مسلم": "وأمَّا النَّصيحةُ لأئمَّة المسلمين فمعاونَتُهم على الحقِّ وطاعتُهم فيه، وأَمْرُهم به، وتنبيهُهم وتذكيرُهم برِفقٍ ولطفٍ، وإعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبلغْهم مِن حقوق المسلمين، وتركُ الخروج عليهم، وتألُّفُ النَّاس لطاعتهم".

وقال أبو محمد الحسن البربهاري في كتابه "شرح السنة": "وإذا رأيتَ الرَّجلَ يدعو على السلطان فاعلم أنَّه صاحبُ هوى، وإذا رأيتَ الرَّجلَ يدعو للسلطان بالصّلاح فاعلم أنَّه صاحبُ سنَّةٍ إن شاء الله".

وخلاصة القول هنا: أنه لا يجوز إحداث الخروج، ولا الثورات، ولا المظاهرات، الساعية لغير ما أمر به الله ورسوله.

كما أنه ينبغي ألا ينكر عاقل، أن ما حدث من ثورات متأخرة كتونس ومصر وبعض البلاد الأخرى، إنما هو بتقدير قدره الله تعالى، وليكون محط ابتلاء القلوب وتمحيصها، وليميز الله تعالى أهل الثبات على المنهج والسنة، من بعض أولئك المتعجلين الطريق والنصر بوسائل لم يشرعها الله ورسوله.

وكذلك بيان مكر أعداء الإسلام ومنهجه القويم، من تخطيط ومكر منهم، وإحداث ثورات وتغييرات توافق أهوائهم، وتلبي شهواتهم، وتفتح الطريق لهم للتربص بشباب هذه الأمة الأطهار، وعلمائها الأخيار، كما تفتح الطريق لهم لتقسيم بلاد المسلمين وتفريق كلمتهم وجماعتهم، ومن ثم تقسيم بلادهم وأرضهم، والتحكم فيهم كدويلات متناثرة عاثرة الخطى، فيحدثوا الانقلابات والثورات، لينهبوا بها الثروات، ويمتلكوا نواصي العباد، وهذا لم يتفطن له كثير من شباب المسلمين ولا حتى بعض المتدينين إلى اليوم.

إذن الثورات فيها من بيان عاقبة الظلم والظالمين جانب، وفيها من بيان مكر الأعداء وخداعهم لهذه الأمة جانب آخر، وكما قلنا ليس من نهجنا ولا منهجنا هذا السبيل، لكن الله قدره لحكمة أرادها تعالى، ولا يتفطن لها إلا العقلاء الأذكياء الأزكياء.

* * *

الأمر الثاني: الموقف من الاتجاه السلفي الحزبي الجديد بعد الأحداث:

وهذا قد بينته جليًا في موضع مطول بأدلته، لأنني لم أتصور يومًا أن يتحول بعض أهل الخير والفضل والثبات لسنوات طويلة من أصحاب الاتجاه السلفي النقي، إلى تكوين حزب سياسي وبرلماني للمشاركة في السياسة المعاصرة، واللعب في دهاليز الديمقراطية الغربية المأفونة، ويزعمون أن في هذا نصرة الإسلام والحق، ومجابهة الباطل وأهله، وهذا يأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

* * *

الأمر الثالث: إيراد فصول الكتاب وموضوعاته في طبعته الثانية:

وبعد بيان موقفنا السابق وتجليته، نقول هنا، يجب على قاريء الكتاب ألا يفوته ما نبهنا عليه، وأشرنا إليه، حتى لا يتوهم قولًا لم نرده، أو حكمًا لم يجز لنا فعله، ذلك أن مجمل كلامي في الموضوع الأول، إنما كان عقب أحداث الثورة مباشرة وأثناءها أيضًا، وإن كانت واضحة المعالم شرعًا، إلا أن مطلق الكلام كان في بيان ما أشرت، من معرفة قدرة الله تعالى وسننه الكونية في تغيير الأقدار الجارية والأحداث، وفي تمييز أهل الثبات والمنهج أيضًا، وفي بيان مكر العدو لهذه الأمة وتربصه بها بين الوقت والوقت.

إذن الغرض بيان الواقع بنظرة أعمق، وليس تقرير موقف واضح مما يجري من أحداث، لأنه مقرر في شرعنا في جلاء، إن بصيرتنا يجب أن تكون أعمق وأدق، فلئن كان خالف بعض هذه الأمة بالخروج على الحكام ولو سلميًا كما قالوا، ولكننا أيضًا نفهم الخروج وأحداثه لحكمة الله السابقة، فلقد كان خروج الحسين رضي الله عنه سببا لقتله في الفتنة، وهذا من حكم الله وتقديره تعالى، فليتأمل ذلك كل عاقل مسترشد للهدى، بعين البصيرة والحكمة.

هذا ما أردت التنبيه عليه بإيجاز، ليكون القاريء على بينة من الأمر، حيث أن هذه الطبعة الثانية من هذا الكتاب، وقد كتب – سابقًا - أثناء الثورة وأحداثها، ولكن الآن في طبعتنا هذه، قد زدت عليه عدة موضوعات مهمة أخرى، تجلي الأمر وتهذبه، وتبين الطريق السلفي الناصع وترسمه، وتوجه الشباب وترشده، فليس من منهج الإسلام، الخروج على أئمة الجور والحكام، وليس من منهج الإسلام إحداث الثورات ولا المظاهرات، وليس من الإسلام التحزب ولا الحزبيات، كل هذا ليس من طريقنا ولا منهجنا، فليفهم الأمر على أنه تقدير قدره الله بحكمته وعدله، كما سبق البيان والإشارة.

* * *

أحداث تونس ومصر وطريق التغيير والإصلاح

إنَّ الذي وقع الآن على أرض تُونُس، ويقع على أرض مِصْر، ورُبَّما طال بعض البلاد الإسلاميَّة الأخرى، لَهُو أمر حَتْم، وكان ولا بُدَّ، نعَم؛ لأنه من تقدير الله تعالى الكوني في التغيير، وإن كان أحدثه الناس على غير أمره الشرعي، لأنَّ تأريخ العالَمِ الإسلاميِّ والعربي مُشْرقٌ مضيء، فحضارتنا الإسلاميَّة والعرَبِيَّة إنَّما أقامها الإسلامُ بِشُروق شمسه وشريعته، وببعثة النبيِّ الهادي - صلَّى الله عليه وسلَّم -، في حين أنَّ أوروبا كانت ترتع في ظلماتٍ من التِّيه والجهل والضلال.

ولما أنْ تَخلَّفت الأُمَّة الإسلاميَّة اليوم بِبُعدها عن مصدر سعادَتِها، ومنبع هدايتها، وقَع عليها مِن ألوان الذُّل والاستعمار والقهْرِ الكثيرُ والكثير، وهذا هو عَيْنُ ما ذكَرَه الله تعالى في كتابه العزيز، فقد قال تعالى: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ [طه: ١٢٣ - ١٢٤].

وفي ظلِّ هذه الأحداث المُتتالية، وتلك المظاهرات والثورات، ومطالبة الناس ببعض حقُوقِهم فيها، نرى أن مطالبتهم بحقوقهم أمر مشروع، لكنه يحدث بوسائل جلها غير مشروعة ولا مستحبة، فإحداث الانقلابات والثورات والمظاهرات عمل غير مشروع، لم يولد في بلاد الإسلام والمسلمين، ولا تدل عليه نصوص الشرع الواضحة، فكأنه توصل للحق المشروع، بوسائل وطرق لم تشرع للوصول إليه، وهذا من ناحية الجانب الشرعي فيما يحدث.

أما من جانب القدر الكوني وسنن الله في تغيير الأمم والظالمين، فإننا نرى أن الَّذي وقع الآن رُبَّما نَجِده في الأَصلِ يعودُ لسبَب وقوعهِ إلى أمْرَيْن رئيسِيَّيْن:

أوَّلاً: السِّياسات المعاصرة التي منبَعُها العلمانيَّة والغرب:

فالمتأمِّل بنظرةٍ ثاقبة إلى تـأريخ الواقـع المعـاصر في العـالَمِ الإسـلاميِّ والعـربي، يـرى بِوُضوحٍ أنَّ جلَّ "الحكومات" و"الأنظمة" و"الأحزاب" التي تَحْكم شـعوبَه إنَّـما هـي أنظمة مُوالِيَةٌ للغَرْب والعلمانيَّة، وهي تستمدُّ قوَّتَها في إنشـاء القـوانين والدسـاتير - وكـما يقولون "التشريعيَّة"، أو "الشرعية" - من أصولِ العلمانيَّـة الغربيـة، ولـيس مـن مـنهج الإسلام وشريعته.

وإذا نظَرْنا إلى "العلمانيَّة" على حقيقتها، نَجِد أنَّها مـذهبٌ غـرْبِيٌّ طـارئٌ عـلى العـالَمِ الغرْبِي، مذهبٌ خارج على منهج الكنَسِيَّة والعبادة، منهجٌ لا يَدِين الله تعـالى بِسُـلطان عـلى البشريَّة، ولا يُعْطي الله حقًّا أن يُمدَّ لَها منهجًا ربَّانيًّا يُضِيء لَها الطريق في هذه الحيـاة الـدُّنيا، مذهبٌ لا يُعبِّد النَّاس لَرِبِّهم وخالِقِهم، ولا يجعل الله تعالى دِينًا يَحْكمهم ويهديهم.

إنَّ العلمانية تَعْني: فَصْل الدِّين عن الحياة، فَصْلَ المخلوق عن منهج خالقه ومعبـوده، فـلا دَخْـلَ للـدِّين في شـؤُون الإنسـان، لا في مأكلـه وملبسـه، ولا في اقتصـادِه وحُكْمِـه وسياسته، فلا يقول الدِّين للإنسان: هذا حلالٌ، وهذا حرام، ولا يقول أيضًـا: هـذا شِرْك، وهذا إيمان، إنَّ العلمانية في إيجاز هي: اللاَّ دين، وكما قال قائلهم: "دَعْ ما لِقَـيصر لقـيصر، وما لله لله".

• إنَّ العلمانية تَعْني: الطَّعن في الشريعة الإسلامية، وأنَّها شريعـةٌ بالِيَـة، ذاتُ طقـوس وشعائر لا تُمارَس إلاَّ في دُور العبادة.

• وإن العلمانية تعني: إحياءَ الوثنيَّات القديمة، كالفِرْعونيَّة وغيرها، وشَغْلَ الأجيـال بتعظيم هذا التُّراث البائد، ودَعْم المُؤَسَّسات ودُور الثَّقافة؛ لإحياء الجاهلية من جديد عـلى صفحة التاريخ البشَرِي.

• وإن العلمانية تَعْني: الوقوفَ أمام تَحْكيم الشريعة الإسلامية؛ لأنَّها عندهم ليست مَنْهجَ حياةٍ، وهذا عَصْر الحُرِّية وزمانُها، فلْيَعبد مَن شاء ما شاء.

• وإنَّ العلمانية تعني: مُحاربة القِيَم والأخلاق والحضارة الإسلامية؛ لأنَّها تَعْمل على هَدْم العلاقة بين الخالق والمخلوق، وبين العبد والمعبود، فلا رقابة لله عليه ولا سُلْطان، ولا ثوابَ ولا عقاب، ولا جنَّة ولا نار، فالمرأة في العلمانيَّة حُرَّةٌ في جسَدِها، تهبه مَن شاءَتْ، وتتحرَّك بإرادتِها متَى وكيف شاءتْ، فلا دين يَحْكُمها، ولا زوج يَأْمُرها، ولا أبَ يؤدِّبُها، ولا قرآن يَهْديها.

وكذلك العمل على نَشْر الشُّذوذ الجنسيِّ والإباحيَّة بلا خجل أو وجَل، فالعلمانية تعني الكُفْر بالآخرة؛ إذْ لا ثواب ولا عقاب، ومِن ثَمَّ لا حساب، وهذه هي العلمانيَّة في كلمات.

حصاد العلمانيَّةِ المُرُّ:

ونحن نسأل الآن: ماذا قدَّمَت العلمانيَّةُ للبلاد الإسلامية والعربيَّة، بعد حكمها هذه السنوات الطويلة؟ وماذا أنتجَتْ من ثِمارٍ وحصاد؟

إنَّ وجود العلمانية في بلاد الإسلام في واقعها المعاصر، أدَّى بالأمَّة إلى الفرار من الدين، ليس إلى التحضُّر والتقدُّم، ولكن إلى مستَنْقَع الفاحشة والعُرْي والزِّنا، والفرار إلى الخُنا والإباحيَّة، والإسفاف بالأخلاق والتميُّع بالقِيَم، فماذا حصدَت الأُمَّةُ من وراء ذلك؟

ما حصدت إلاَّ ضياع الأعراض، وانتِهاك الحُرُمات، وفساد الأخلاق وانْحِلالها، وانتشار الفواحش والعُرْي علَنًا، وتَمرُّد الأجيال، وانتشار الأوبئة والأمراض الخبيثة؛ كالزُّهري والسَّيَلان المنَوِي، وأخطرها مرض الإيدز المُدمِّر، والذي لا يزال الطِّبُّ الحديث عاجزًا عن معرفة طُرُق الشِّفاء منه.

وفَرَّت الأُمَّـة كـذلك إلى التعامُـل الرِّبَـويِّ وإعـلان الفوائـد المحرَّمـة، والإسـهام في البورصات العالميَّة والاستثمارية، فـما حصـدَتْ إلاَّ انتشـارَ الفقْـرِ والبطالـة بـين الأجيـال المتلاحقة، وما حصدَت إلاَّ انتشارَ الفساد الاقتصادي، والسَّرقة المُعْلَنـة في مقـدَّرات الأُمَّـة وثرواتِها وممتلكاتها.

وفرَّت الأمَّة أيضًا إلى تحكيم القوانين الوضعيَّة المستوردَة، فما حصدت إلاَّ ضياع نِعْمة الأمن والأمان، وظهور الحرام بكلِّ صُوَره وأشكاله؛ مِن أَخْذِ الرِّشوة، والسرقة، وشـهادة الزُّور، وأكل الرِّبا، وأكْل أموال الناس بالباطل، وما حصدت إلاَّ اسـتعباد الأُمَـم الكـافرة لها، وتَحكُّمها فيها، وإدارة شؤونها وحياتِها ومقدَّراتِها، والعبَث بِأَمْنِها وأخلاقها وعقيدتها، حتَّى صارت الأُمَّة قَصْعة مسـتباحةً لكـلِّ أحـد، وغنيمـةً مُشْـبِعة، ولعبـة مسـلِّية بأيـدي العابثين.

هذه بعض الـثِّمار المُـرَّة للعلمانيـة المعـاصِرَة في العـالم الإسـلامي، فضـلاً عـن آثارهـا وجراحها في العالَم الغَرْبي والأوربِّي نفسه، والتي لا طريـق للخـلاص منهـا إلاَّ بِمَـنهج الله تعالى وشريعته.

إذًا، فالذي يَحْدث الآن أمْرٌ كـان ولا بُـدَّ أن يكـون، بعـد تقـدير الله تعـالى وحكمتـه وعدْلِه، ثُمَّ لأنَّنا أُمَّة دينُها الإسلام، ومنهَجُها القرآن، وتاريخها حضـارةٌ إسـلاميَّة وعربيـة عريقةٌ، ولن تستطيع أن تعيش إلاَّ في ظلِّ هذا المنهج الربَّاني الكريم، مهما جاءَتْها من أنظمة واتِّجاهات، ومهما تآمرَ عليها أهْلُ الظُّلم والجُوْر والطُّغيان.

* * *

ثانيًا: قهر الشعوب وهضم حقوقها من أظلم الظلم:

كما أنَّ الذي يحدث الآن إنَّما هو عاقبةٌ وخيمة للظُّلم والقهر للشُّعوب المسلمة، والتي أذاقَتْها الويلات والآلام تلك الحكوماتُ والسياسات، التي لا تتحاكم إلى شريعة الله ومنهجه، ولا إلى قرآنِه ونبيِّه - صلَّى الله عليه وسلَّم -.

تلك عاقبةُ الظُّلم والجُور، وتنحية الشَّريعة الإسلامية عن شؤونِ الحياة كلِّها إلاَّ النَّزْر اليسير، وأَكْلِ أقوات الشُّعوب وثرواتِها، والتميُّع للغرب الكافر، والتزلُّفِ له، ونَهْبِهم وإفسادِهم في بلادهم، والتصدِّي للدعوة الإسلامية الصادقة ودُعاتِها وشَبابِها، ورمْيِهم بالتخلُّف والرَّجعية والجهل، وتعذيبهم وإرهاقهم في السُّجون والمعتقلات، والحَجْر على الشُّيوخ والعلماء، وتَكْميم أفواه الصَّادقين والمصلحين.

وكم جاءت نُصوص الوحْيَيْن الكريمَيْن في التحذير من الظُّلم وعواقبه في الدُّنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ * كَيْفَ يَهْدِي اللهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ * خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴾ [آل عمران: ٨٥ - ٨٨].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [المائدة: ٥١]، وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [المائدة: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾ [إبراهيم: ٤٢]، وقال الله تعالى: ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ ولا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ [غافر: ١٨]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ [الحج: ٧١].

وعن جابر قال: قال رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم –: ((اتَّقوا الظُّلم؛ فـإن الظُّلـم ظلماتٌ يوم القيامة، واتَّقوا الشُّحَّ؛ فإن الشُّح أهلك مَن كان قبلكم: حَمَلهم على أنْ سـفَكوا دماءهم، واستحلُّوا محارِمَهم))؛ رواه مسلم.

وعن عائشة – رضي الله عنها – أن رسول الله – صلَّى الله عليه وسـلَّم – قـال: ((مَـن ظلَم قِيدَ شبرٍ من الأرض طُوِّقَه مِن سبْعِ أرضين))؛ متفقٌ عليه.

وعن أبي موسى – رضي الله عنه – قال: قال رسـول الله – صـلَّى الله عليـه وسـلَّم –: ((إن الله لَيُمْلِي للظَّالِم، فإذا أخذه لَم يفلتْه))، ثم قرأ: ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَـذَ الْقُـرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود: ١٠٢]؛ متفق عليه.

وعن عبد الله بن عمر قال: أقبلَ علينا رسولُ الله– صلَّى الله عليه وسلَّم – فقال: ((يـا معشر المهاجرين، خمسٌ إذا ابتُلِيتم بِهن، وأعوذ بالله أن تُدْرِكوهن: لَم تَظْهَر الفاحشةُ في قومٍ قطُّ حتَّى يُعْلِنوا بِها، إلاَّ فشا فيهم الطَّـاعون والأوجـاعُ التـي لم تَكُـن مضَـتْ في أسـلافهم الذين مضَوْا، ولَم ينقصوا المكيالَ والميزان، إلاَّ أُخِذُوا بالسِّنين وشِدَّة المؤونة وجَوْر السُّلطان عليهم، ولَم يَمْنعوا زكاةَ أموالِهم، إلاَّ مُنِعوا القَطْر من السَّماء، ولولا البهـائِمُ لم يُمْطَـروا، ولَم يَنْقضوا عهد الله وعهد رسوله، إلاَّ سلَّط الله عليهم عدُوًّا من غيرهم، فأخذوا بعض مـا في أيديهم، وما لَم تَحْكـم أئمَّـتُهم بكتـاب الله، ويتخـيَّروا مِمَّـا أنـزل الله، إلاَّ جعـل الله بأْسَـهم بيْنَهم))؛ رواه أبو داود والبيهقيُّ بسند صحيح.

والمتأمِّل في هذا الحديث الجليل يرى أنَّ الأُمَّة الإسلاميَّة اليومَ وقعَتْ في كلِّ هذا الذي حذَّر منه النبيُّ – صلَّى الله عليـه وسـلَّم – فكَـمْ هـي صُـوَر الفاحشـة اليـوم باسْـم الفـنِّ والإعلام! وكمْ هي باسم الحرية الشخصيَّة!

وكم هي بِتَرْك إقامة حدود الله تعالى فيهـا، وإنكـار المُنكـر! وكـم هـي صـور الغـشِّ والتدليس على الأُمَّة! وكم هم الذين منعوا الزكاة المشروعة!

وكم هم الذين نقَضوا عهد الله ورسولِه! وكم هم الحُكَّام الذين تركوا شريعة الإسلام جانبًا، وحكَّموا قوانين البشر الهزيلة الوضعيَّة، بعيدًا عن هُدَى الإسلام!

إن الشُّعوب المسلمة قُهِرت حقًّا، ومُنِعت من حُرِّيتها الشرعيَّة، وضاعت أموالُها وثرواتُها بأيدي العابثين بِها، ولا بُدَّ يومًا أن يعود الحُقُّ لأهله، وأن يُقاد للمظلوم من الظَّالِمِ كما جاء الحديث النبويُّ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنَّ رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - قال: ((لَتُؤَدُّنَّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتَّى يُقاد للشاة الجُلحاء من الشاة القَرْناء))؛ رواه مسلم.

لقد كانت الأمة بعلمائها وحكمائها مطالبة بنزع سلطان القوانين الغربية الكافرة، وبرفع الظلم عن الناس وإعادة حقوقهم المسلوبة، وذلك بما أمر به الله ورسوله من الوسائل الشرعية، من قول كلمة الحق، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ومناصحة الحكام وأئمة الجور الظالمين، وتوجيههم نحو الشريعة ومقاصدها.

إلا أن الكثيرين منهم صاروا كبقية الناس وعامتهم، لا ينصحون حكامهم، ولا يأمرون بالمعروف إلا قليلًا، ولا ينهون عن المنكر إلا قليلًا، بل ومنهم من ركن للظالمين وأعانهم، وكان بوقًا صارخًا لكذبهم ونفاقهم.

والله من سننه القدرية الكونية، أن الظلم عاقبته وخيمة، والمآل فيه عظيم، ولا بد من رفع الظلم عن العباد والبلاد بعدل الله وحكمته، إلا أن الناس طولبوا بذلك بما شرع الله لهم، وبما أمرهم به، ودعاهم إليه، لكن لما عطل أكثر الناس أمر الله تعالى الشرعي في سنن التغيير والإصلاح وردع الظالمين، كان ولا بد لقدر الله في التغيير الكوني أن يقع، وأن تذهب دولة وتأتي أخرى تقديرًا من الله وابتلاءًا وتمحيصًا.

وكثير من الناس لضعف علومهم بالشرع وحكمته، لا يدركون الفرق بين "الإرادة الكونية"، التي لا تستلزم بوقوعها ما يحبه الله ويرضاه، فقد يقع بها الخير أو الشر، وهي

مع ذلك واقعة لا محالة، وبين "الإرادة الشرعية الدينية"، وهي ما أمرنا الله به تعالى من فعل الخير والإيمان والتوحيد، والإعراض عن الكفر والشر والضلال، وهذه قد تقع وقد لا تقع، فالكافر مطالب بالإيمان مثلًا، فقد يسلم وقد لا يسلم، وكلاهما مما قدره الله وأجراه لحكمته وقدرته وعدله، والإيمان بالإرادتين؛ الكونية والشرعية من أصل الإيمان وكماله.

والمتأمل للقرآن يرى أن الله تعالى جمع في بيان القدرين والإرادتين؛ الكونية والشرعية في آية واحدة، وهي كلها داخلة في مسائل الإيمان والقدر، كما قال تعالى: "لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ" [المائدة:٤٨].

وكما قال تعالى أيضًا في بيانهما: "وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ" [النحل:٩٣].

يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ : " إنه سبحانه حكيم، لا يفعل شيئاً عبثاً ولا لغير معنى ومصلحة وحكمة، وهي الغاية المقصودة بالفعل، بل أفعاله سبحانه صادرة عن حكمة بالغة لأجلها فَعَل، كما هي ناشئة عن أسباب بها فعل، وقد دل كلامه وكلام رسوله – صلى الله عليه وسلم – على هذا " انتهى.

لو تأمل الناس إلى الشفاء من داء السحر وأثره فيهم، لعلموا أن الشفاء من تقدير الله الكوني، فالله تعالى هو الشافي وحده، ولا يملك أحد معه من ذلك شيئًا، ومع ذلك التقدير الكوني، قدر الله للوصول إليه أمره الشرعي في تحصيل أسباب الشفاء، وذلك من خلال التوسل والدعاء إلى الله برفع الداء والمرض، والأخذ بالأسباب من الرقية المشروعة من الكتاب والسنة، وتناول بعض الأودية وغيرها مما هو مباح، فهذا الشفاء قدر كوني، ويوصل إليه بقدر الله الشرعي بالأمر والنهي.

إلا أن بعض الناس يريدون الشفاء وأسبابه، بغير الأمر الشرعي، فيذهبون للسحرة والعرافين والمنجمين، فيشرعون لهم من الرقية والمعالجة لأمراضهم ما ليس بأمر شرعي، ولذلك كانت عقوبة الساحر وحده هو القتل، وعقوبة من طلب التقدير الكوني من الشفاء، بغير التقدير الشرعي وهو الرقية المشروعة والمداواة، ألا يقبل منه صلاة أربعين صباحًا، وربما آل أمره إلى الكفر كما دلت عليه النصوص.

وكذلك مسألة الرزق وحصوله، فالله قدر أرزاق العباد لهم، وأجراها عليهم في الأموال والأنفس والثمرات، ولا بد من وقوعها لأنه قدر الله الكوني، الذي لا يملكه أحد سواه، وليس معه فيه من مصرف ولا إله.

ومع ذلك التقدير الكوني، يأمر الله تعالى العباد بتحصيل أرزاقهم وأقواتهم بالقدر الشرعي، وهو الأمر والنهي فيما يجري عليهم، فيأخذون بأسباب الرزق من العمل والحركة، والبيع والشراء في التجارة، وكذلك الأخذ به من الحلال الخالص، وكذلك ترك الغش والتدليس فيه، وكذلك تجنب أكل الربا، وأكل الميراث والحقوق، والظلم والرشوة وغيرها، فهذا كله تقدير شرعي أمر به الناس.

إلا أن بعض الناس يريدون القدر الكوني في تحصيل الأرزاق والأقوات، بغير القدر الشرعي، من العمل والبيع والشراء وطلب الحلال الخالص، ولهذا يحصلون نفس تلك الأرزاق بمخالفة الأمر الشرعي فيها، والوقوع فيما نهى الله عنه ورسوله.

* * *

الطَّريق إلى الإصلاح والتغيير:

ونَحْن بعد هذا نقول، كما قال السَّابقون من قبل: "لن يَصْلح آخِرُ هذه الأُمَّة إلا بِما صَلح به أوَّلُها"، وكما قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴾ [الرعد: ١١].

إنَّ التغيير والإصلاح أمرٌ آتٍ لا مَحالة؛ لأنَّ الله تعالى له في الكون سُنَنٌ قدَرِيَّة وشرعيَّة، ولا بُدَّ من وقوعها بِحِكمته وعدله وإرادتِه، لكن على أهل العلم والدُّعاة أن يأخذوا بِحِكمة بالغةٍ - بعد وقوع هذه الأحداثِ - النَّاسَ إلى منهج الله تعالى وشريعته بقوَّةٍ وبصيرة.

عليهم أن يَغْرسوا من الآن فصاعدًا؛ أنَّ الشباب المُسلم والشُّعوب المُسلمة، لا هناء لَهم، ولا سعادة، ولا أمْنَ إلاَّ في تطبيق الشريعة الإسلامية من جديد، وجعْلِها منهجَ حياةٍ، فلا يَكْفي المُطالَبة بِما نَمْلأ به البطونَ الخَاوية، أو ما نسدُّ به رمقَ الحياةِ وآلامَها العَصِيبة ومعيشتها، كلاَّ، كلا، إنَّما لا بُدَّ مِن أن نأخذ بيد الناس إلى نور الحقِّ، إلى شَرْع العزَّة والكرامة.

وكما قال الصَّحابِيُّ الجليل - رضي الله عنه - وهو يبيِّن منهجه وغايتَه، ويُعْلِن عن هُوِيَّتِه وشريعته، كما ذكرَتْ كتب التاريخ أنَّ سعد بن أبي وقَّاص أرسل رِبْعِيَّ بنَ عامرٍ رسولاً إلى "رستم" قائد الجيوش الفارسيَّة وأميرهم، فدخل عليه وقد زيَّنوا مَجْلسه بالنَّمارق والزَّرابِيِّ والحرير، وأظهر اليواقيتَ واللآلِئَ الثَّمينة العظيمة، وعلى تاجِه وغيْر ذلك من الأمتعة الثَّمينة، وقد جلس على سريرٍ من ذهَب. ودخل ربْعِيٌّ بثياب صفيقة، وترس، وفرس قصيرة، ولَم يزَلْ راكِبَها حتَّى داس بِها على طرَفِ البِساط، ثُمَّ نزل وربَطها ببعض تلك الوسائد، وأقبل - عليه سلاحُه ودِرْعُه، وبيضتُه على رأسه - "فقالوا له: ضع سلاحك، فقال: إنِّي لَم آتِكم، وإنَّما جئتكم حين دعوْتُموني، فإنْ تركتموني هكذا وإلاَّ رجعْتُ. فقال رستم: ائْذَنوا له، فأقبل يتوكَّأ على رُمْحِه فوق النَّمارق، فخرق عامَّتَها، فقالوا له: ما جاء بكم؟ فقال: الله ابْتَعثنا؛ لِنُخرج مَن شاء مِن عبادة العِبادِ إلى عبادة الله، ومِن ضِيق الدُّنيا إلى سعَتِها، ومن جَوْرِ الأديان إلى عدل الإسلام[١].

كما ينبغي علينا ألاَّ نترك الأَمْر فضاءً للعابِثين والطَّامعين والمتسلِّقين على أكتاف الحقِّ؛ ليصلوا به إلى أطماعهم وغاياتِهم الدَّنيئة الرَّخيصة، وإنَّ تونس الخَضراء، أرض القيراون

والفتح الإسلاميِّ، لَم تقف بعد ثورتِها حتَّى الآن على أرض صلبة من التوجُّه الصحيح للمسار المُراد. وإنَّنا نَخْشى أن تعود الأمور كما كانت، ولكن بثوبٍ آخَر، ووَجْه آخر، وهنا مكمن الخُطر في الصِّراع الدائر، كما أخشى أن يتكرَّر نفْسُ الواقع في مصر وبلادٍ أُخرى، وما ثَمَّة تغييرٌ يُذْكَر.

ذلك لأنَّني أعتقد أنَّنا في حاجة ماسَّة وضروريَّة إلى أمرَيْن، وهُما من الأهَمِّية بِمَكان في بلادنا الإسلاميَّة والعربية:

الأوَّل: الوَعْي الإسلاميُّ الشامل:

لأنَّنا نرى في مِثْل هذه الثَّوْرات - كما تُسَمَّى اليوم - راياتٍ وأحزابًا ومناهِجَ خرجَتْ للتغيير والإصلاحِ، زعَمَت، لكنَّها في الوقت ذاته لا تُريده تغييرًا إسلاميًّا ولا شرعيًّا، بل إنَّها متخوِّفة ومتوجِّسة من أن يَحْكم فئةٌ ما تتبنَّى المُنهج الإسلاميَّ ولو جُمْلةً دون تفاصيله، تَخْشى من هذا وترميه بالتشدُّد والرَّجعية، وتقف وبقوَّةٍ أمام الاتِّجاه الإسلاميِّ الإصلاحي أيًّا كان حامِلُ رايته.

وهنا يَظْهر لكلِّ ذي لُبٍّ وبصيرةٍ أنَّ هذه الثَّورة لن تعود - برغم ما قدَّمَت من قوَّةٍ وشجاعة وبَذْل - بفائدةٍ تُذْكَر، ولا تغيير مؤثِّر، في حياة النَّاس وواقعِهم؛ لأنَّ أصحاب هذه الرَّايات والحزبيَّات لن يَسْلكوا الطَّريق الصحيح، لكنهم يَحْملون معهم مناهِجَ وتصوُّراتٍ بشريَّةً أخرى بديلةً عن الأخرى، وهنا تَدُور الأُمَّة في دوَّامة مفرغة وخاوية، ليس لَها من دون الله كاشِفَة.

ولعلَّ المستفيد الأوَّل من هذا كلِّه هو العالَمُ الغرْبِيُّ واليهود الصَّهاينة، نعَم، هم من سيَجْني ثَمرة هذه الثَّورة على الباطل، بِخَلْق عُمَلاء آخَرين، وسياسات عربيَّة أخرى تُذْعِن لَهم، وتعطيهم بعض الذي مُنِعوا مِمَّن سبقها، وكذلك الاستفادة المُرَّة من فوضى تعمُّ

العالَمَ الإسلاميَّ لا يَحْكمها ضابِطٌ ولا منهجٌ ولا سياسة، وكما يُقال عندهم: "فوضى خلاَّقة".

إنَّ الإشكال حقًّا في فقدان الوعي الإسلاميِّ الصَّحيح لدى الكمِّ العريض من جَماهير المُسلمين، أنَّهم يعتقدون أنَّ تطبيق الشريعة الإسلاميَّة، لن يُسْعِدهم، ولن يطعمهم، ولن يسقيهم، ولن يَكْسُوَهم، ولن يجعلهم مرفَّهين أعِزَّاء، ويعتقدون أنَّ الحُكم الإسلاميَّ سيكون نوعًا آخرَ من القهر والظُّلم، وقَطْع الأيدي، ومَنْع جَميع الحُرِّيات الحق منها والباطل، ويعتقدون أنَّهم لن يرَوُا النَّهار إلا ليلاً، ولا اللَّيل إلا ظلامًا قاتِمًا!

نعَم، هذه مفاهيمُ جاهليَّة، لا زالَتْ تُغطِّي وتعلو بِرَانِها على كثيرٍ من العقول في عصر الانفتاح الحديث، وما زال عُمَلاء الغرب والدَّهْماء يصدِّقون هذا في أُمَّتِهم وشريعتهم، ولا زال إعلامُنا المقروء والمرئيُّ والمسموع يلعب على هذا الوتر الدَّنِيء، وكأنَّهم نسوا أو تناسَوْا ذلك التَّاريخ العريق المُشرق لِحَضارة الإسلام والعرب، ونسوا أنَّ الله إنَّما رفَعَهم وأعزَّهم بِهذا الدِّين، ونسوا أنَّ العرب لَم يكونوا في خريطة العالَم شرقًا وغربًا، إلاَّ يوم أنْ جاءهم الإسلام، وأعلى هِمَمَهم، وزكَّى نفوسهم، وفتَح لَهم العلم والفهم ومغاليقَ الحياة والكون من حولِهم.

وهنا يأتي دَوْرُ العلماء والدُّعاة وطلاَّب العلم الصادقين، في عرْض الإسلام من جديدٍ بِصُورته المشرقة الشَّاملة، وبيان أحكامه وشرائعه للنَّاس، وبيان أنَّ السعادة والتغيير الحقَّ، إنَّما في هذا الدِّين واتِّباعه وتطبيقه كمنهج حياة.

كما أنَّ عليهم أن يبيِّنوا شُموليَّة الإسلام لِجميع شؤون الحياة: التعبُّدية، والتشريعيَّة، والسِّياسية، والاقتصاديَّة، وأنَّه طريق السَّعادة والخَلاص إنْ أرادوا النجاة حقًّا؛ كما قال تعالى: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة: ١٥ - ١٦].

كما أنَّ عليهم أن يُزيلوا من عقول جَماهير المسلمين قدْرَ جهْدِهم واستطاعتهم تلك الشُّبهات الخاوية، ويكشفوا زيْفَها وعَوارَها للنَّاس؛ ليَحْذروها، والتاريخُ الإسلاميُّ ثريٌّ بِحقائق كثيرة تَملأ الواقع بالأدلة النَّاصعة على ذلك.

الثاني: الوعي السياسي الشرعي:

لأنَّ كثيرًا من شعوبنا وأبناء أُمَّتِنا ما زالتْ تَثِق في سياساتٍ علمانيَّة وليبراليَّة مشبوهة، وما زالت تعتقد أنَّها أفضَلُ السِّياسات، لكنَّها لَم تُطبَّق على أحسن وجوهِها.

وليت شِعري أين ما سَمّوه بالدِّيمقراطية المزعومة، يوم أن وصلَتْ حكومةٌ منتخَبةٌ كحَماس في فلسطين إلى سُدَّة الحكم، لماذا لَم يتعاملوا معها كحكومةٍ شرعيَّة - زعَمُوا - ومنتخَبةٍ بإرادة الشَّعب؟ ولِماذا وقف العالَمُ الغرْبِيُّ الخائن أمامها، ووضع يده في أيدي الصَّهاينة اليهود لِمُحاربتها من جذورها؟!

إن العالَمَ الإسلاميَّ في حاجةٍ إلى وعي سياسيٍّ شرعي بِحَق، ولستُ أقصِدُ سياسةً هزيلة عميلةً أو مستغرَبة عن بلادنا، إنَّنا نَجهل كثيرًا في باب السِّياسة الشرعيَّة والتي تَحدَّث عنها أهْلُ العلم والفقه، في حقِّ الحاكم والمَحْكوم، وفي نظام الحُكم الإسلاميِّ والخِلافة، وفي اختيار الرَّئيس الذي يستحِقُّ أنْ يُولَّى على ولايات المُسلمين، ويدير شؤون البلاد والعباد.

هل تعلم الجَماهيرُ المُسلمة أنَّه لا يَحِقُّ لَها أن تَختار رئيسًا أو حاكمًا أو من يتولَّى شؤونَهم وحياتَهم، إلاَّ إن كان سيُقِيم بينهم الشَّريعة الإسلامية، أم أنَّه مجرَّد والٍ وحاكم مصْلِح سياسي واقتصادي فحَسْب؟!

لماذا تُطالِبُ الشُّعوبُ حكَّامَها بالطَّعام والشراب والعمَلِ والحوافز، دون أن تُطالِبَه بإقامة الحُكم الإسلاميِّ الشَّامل، وتطبيق منهج الله ورسوله؟!

كما أنَّنا لا نَعِي سياسيًّا مكايد اليهود والغرب الصليبيِّ بدرجةٍ تُؤهِّلنا لِصَدِّ هذا العدوان وتلك المطامع، وتقسيم العالَمِ الإسلاميِّ والعربي إلى دويلاتٍ مُتناحرة متنافرةٍ فيما بينها، والقبض على مقدَّراتِها من النفط البترولِيِّ، والاقتصاديِّ وغيرهما.

إنَّ السياسة الشرعية تُطالبنا بِمعرفة حقِّ الحاكم والمحكوم، والرئيس والمرؤوس، ومعرفة العدوِّ المتربِّص بأُمَّتِنا، وما يكيد ويُخطِّط لَها، والمُطالبة بإقامة شريعة الإسلام في جميع شؤوننا وحياتنا.

* * *

النَّصر القريب وعْدُ الله ورسوله:

حقٌّ علينا في الفَتْرة القادمة أن نبثَّ الوعي الإسلاميّ الدِّيني عمومًا، والوعي السِّياسي الشَّرعي على وجْهٍ أخص، كما ينبغي أن نُدْرِك أنَّ الإسلام قادمٌ، ولا ريب في هذا، قادمٌ لأنَّه وعْدُ الله ورسولِه، وقادمٌ لأنَّه هو المنهج الإصلاحي الربانِيُّ الذي فيه كلُّ مقوِّمات السعادة والسِّيادة البشريَّة لِهَذه الأُمَّة، وقادمٌ لأنَّه الحقُّ الذي لا حقَّ بعده، وقادم لأنه منهجٌ منتصر، منهجٌ له الحُكم والسيادة مهما طال الزَّمان، واشتدَّت المِحَن، ورُصِدت العقَبات، منتصر لأنَّه من عند الله، ومنتصر لأنَّه منهج الله، ومنتصر لأنَّه كلمة الله الَّتي هي العُلْيا أبدًا ودائمًا، ومنتصر لأنَّه منهج معصوم لا يعتريه الخطأ والزَّلل، ومنتصر لأنه يَمْلك كلَّ مقوِّمات البقاء، وكلَّ مقوِّمات الظَّفر والاستمرار والنَّصر.

نعم، إنَّ المستقبل القريب لِهَذا المنهج الربَّاني، وعلى منهاج النبُوَّة الأولى، وهذا وعْدُ الله تعالى ولا ريب، كما قال تعالى: ﴿ كَتَبَ اللهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [المجادلة: ٢١]، وكما قال أيضًا: ﴿ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ [الصافات: ١٧٣].

وقال تعالى: ﴿ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ

خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [النور: ٥٥].

وهذه الآيات القرآنيَّة شواهِدُ على صِدْق وعْد الله تعالى لعباده وأوليائه، ونصوصُ السُّنة النبويَّة الصحيحة عند مُسلم و"مسند أحمد" وغيرِهما شواهِدُ على ذلك.

فعن ثوبانَ - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم -: ((إنَّ الله زوى لِيَ الأرضَ، فرأيتُ مشارقها ومغاربَها، وإنَّ أُمَّتِي سيَبْلُغ مُلْكُها ما زَوى لي منها، وأُعطيت الكَنْزين الأحمر والأبيض، وإنِّي سأَلْت ربِّي لأُمَّتِي ألا يُهْلِكها بِسَنةٍ عامَّة، وألا يُسَلِّط عليهم عدوًّا من سوى أنفُسِهم، فيستبيحَ بَيْضتَهم، وإنَّ ربي قال: يا محمَّد، إنِّي إذا قضيتُ قضاءً فإنَّه لا يُرَدُّ، وإنِّي أعطيتك لأمَّتِك ألا أُهْلِكهم بسنةٍ عامَّة، وألا أُسَلِّط عليهم عدوًّا من سوى أنفسهم، يستبيح بيضتَهم، ولو اجتمع عليهم مَن بأقطارها)) أو قال: من بَيْن أقطارها، ((حتَّى يكون بعضُهم يهلك بعضًا، ويسبي بعضُهم بعضًا)).

* * *

* الهوامش:

---

[١] "البداية والنهاية"، (٧ / ٤٠).

المنهج السلفي بين العداء والمضاء

هذه وقفات مهمة - أحسبها كذلك - في التَّعقيب على الأحداث المتتابعة بعد الثَّورة، وما يتعلَّق بها من تطوُّرات على الاتِّجاهات الإسلامية والدعوية، وذلك في نقاط متتالية:

أولاً - صحوة أشرقَتْ بنور الإسلام:

إنَّ من نعم الله تعالى في هذا الزمان أن تفيء جموعٌ كثيرة من الأمة الإسلامية وشبابِها وأبنائها إلى العودة الجادَّة الصادقة إلى منهج الكتاب والسُّنة، وفق منهج سلَف الأُمَّة من الصحابة والتابعين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدِّين؛ ذلك أنَّ هذا المنهج السلَفي يمثِّل الإسلام في صفائه وجوهره، كما يمثِّل الإسلام في عقيدته وعباداته، وفي أخلاقه ومعاملاتِه؛ لأنَّ هذا المنهج دعوةُ الإسلام، وحقيقته الربَّانية الكبرى.

وهذه الدعوة - اليوم - أذِن الله لها أن تعود من جديدٍ بقوَّة وإيمان؛ لتتبوَّأ مكانَها الأوَّل، وقيادتها للعالَم الذي تنكَّب الطريق الحقَّ، وذهب لاهثًا وبقوة وراء الشهوات والنَّزوات، والكفر والإلحاد، إلا بقيَّة من أمة الإجابة والهدى أمَّة الإسلام، التي لم تُراوح مكانَها بعد لتتسلَّم مفاتيح القيادة لهذه البشرية اللاهثة خلف السراب، القابعة خلف الحجُب والدنايا؛ لتدلَّها على طريق هدايتها وسعادتها، وسلامتها وأمنِها، كما قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

ولكنْ ثَمَّة طريق طويل وشاقٌّ بين التكوين لهذه القيادة الرائدة للبشرية، وبين التمكين الموعود لها من الله تعالى في الأرض، نعَم بدأت ملامِحُه تلوح في الآفاق، ودبَّت الصحوة الإسلاميَّة في كلِّ مكان، وبذرَتْ بذورها، لكنَّها لا تزال في حاجةٍ كبيرة إلى

العناية والمتابعة، في حاجةٍ إلى التهذيب والتربية، وفي حاجة كذلك إلى التصحيح والتقويم، وفي حاجةٍ إلى البصيرة والتبصير.

وكلُّ ذلك لا يكون إلا بجهد الأمَّة ودُعاتِها الصَّادقين، وجنود الدَّعوة القائمين بها والمخلِصين، وحماية هذه الدَّعوة وشبابها من أعدائها المنافقين والمتربِّصين، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٥].

* * *

ثانيًا - الحرب على الاتِّجاهات الإسلامية:

المتأمِّل لواقع الأمة اليوم يرى كمًّا كبيرًا من الأعداء المتربِّصين بدعوة الإسلام، والتي أَذِن الله تعالى لها بالعودة من جديدٍ، فأهل الكُفر - خاصَّة من اليهود والنصارى - أعداءٌ لَهَا، والعلمانيُّون واللِّيبراليون والمنافقون كذلك، وكل هؤلاء المتربِّصين لا يريدون للإسلام دولة، ولا عودةً إلى حاكميَّة الحياة كلِّها للأمة الإسلامية، بل ويكيدون المكايد لها في الليل والنهار، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٧].

وما أن بزغَتْ بعض رياح الحرِّية ونسائم الحقِّ، بعد تغيير قدَّرَه الله تعالى في هذه الثورات المتأخِّرة هنا وهنالك، وأذن الله تعالى للحقِّ أن يأخذ مجراه، ويخطَّ سبيله بين جموعٍ من النَّاس، إذْ بنا نرى الحرب الخبيثة سرًّا وجهارًا من المنافقين وغيرهم، وقد سنُّوا سيوف الحرب، وأوقدوا نارها، ودقُّوا طبولَها، في وسائل الإعلام؛ المرئيَّة، والمقروءة، والمسموعة على حدٍّ سواء.

ومن ثَمَّ أخذوا يلتقطون بعض العبارات والتصريحات والمواقف، من بعض شيوخ الدَّعوة والحقِّ؛ ليلعبوا بها على وتر العواطف والكلام، والنَّيل من منهج الحقِّ وأهله ودُعاته، خاصَّة الاتِّجاه السَّلفي.

ذلك بعد أن بدا لنا حراكٌ في وقت الحُرِّية - زعموا - من الاتِّجاهات الإسلامية عمومًا، والسلفيَّة خاصة، والتحرُّك نحو العمل والمشاركة السياسية، والخوض في غمارها.

وإن كان دعاةُ السَّلفية قد أحجموا عن المشاركة طيلة العقود الماضية؛ لوجود ألوانٍ من العبث في اللعبة السياسيَّة، وتزوير نتائجها في جلِّ مراحلها لصالح الأحزاب الحاكمة والسُّلطان، والضرب بيدٍ من حديد على الدَّور السياسي للأحزاب والاتِّجاهات الإسلامية، "إلا أننا اليوم نعيش في واقع جديدٍ قدَّره الله تعالى وهيَّأه، ونحن نرجو من ورائه الخير والتمكين بعد حينٍ بإذن الله تعالى؛ ﴿ وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٢١]"، هكذا يقول بعض إخواننا من الاتجاه السلفي الحزبي السياسي.

لكن حقيقة إشكال الأمر هنا؛ أن المشاركة السياسية ليست على الطريقة الشرعية ومنهجها، وإنما هي قائمة على أصول الديمقراطية الغربية المأفونة، والتي تسلم سلطاتها ونظامها بيد الشعوب والأهواء، كما أن آلياتها في جملتها لا تمت إلى النظام السياسي في الإسلام بصلة.

ولهذا فإن مشاركة الاتجاه السلفي في العملية السياسية بآلياتها ووسائلها ونظامها المعاصر، مسألة يجب التوقف فيها، والمنع منها، والنظر البعيد إلى مآلاتها وعواقبها على العمل الدعوي والعقدي، ولا ينبغي التسرع في خوض غمار هذا العباب من أمواج الشبهات والفتن.

ولإن كنا ننادي بالوعي السياسي الشرعي، فلا يجوز أن يحمل هذا على أنه المشاركة في العمل السياسي الديمقراطي الحزبي، فنحن لا نقر تلك الآليات والنظم الغربية

المستوردة، بل والمخالفة للنظام الإسلامي وشريعته، ولهذا فالواجب على وجهاء الاتجاه السلفي التوقف عن تلك المشاركة السياسية، نأيًا بدعوتهم عن سفاسف زيفها، وقحط نظامها في الإصلاح، ولأنه ليس الطريق الصحيح إلى منهاج النبوة والتمكين.

* * *

ثالثًا – صور من العداء والبغضاء:

ولعل المتتبع للأحداث الأخيرة يتجلَّى له أمران مهمان، نشير إليهما فيما يلي:

الأمر الأول: السَّعي الحثيث لطمس الهوية الإسلاميَّة ومعالِمها:

ذلك أن هؤلاء المنافقين من العلمانيِّين والليبراليين ومَن شابه طريقَهم وأهدافهم، لا يريدون – مهما كلَّفهم الأمر، وبذلوا من أموال – أن تظلَّ مصر ولا حتَّى الدول الأخرى، محافِظةً على هويَّتِها الإسلامية والعربيَّة، وتلك سُنَّة جارية.

لأنَّ في ذلك نفعًا وتحقيقًا لغاياتهم ومآربِهم الخبيثة، ولدوام تواصُلِهم مع الغرب الكافر، والشرق الملحِد دون قيدٍ أو شرط.

ومن هنا شنُّوا عدة حملات خبيثة ماكرة في جلِّ وسائل الإعلام، وسخَّروا أبواقهم الماكرة للعبث بالدستور، خاصَّة المادة الثانية منه، والتي تنصُّ على أن الإسلام هو دين الدَّولةِ الرسميُّ، وأن أحكامه وشريعته هي المصدر الرئيسيُّ للتشريع، ولغة البلد اللُّغة العربية.

كما شنُّوا عدة حملات ضارية لفرض قولةِ "لا" للتعديلات المؤقَّتة، وإن كان لا يضيرنا ذلك، ولا نُرغم أحدًا عليه، إلاَّ أنه قد بدَت البغضاء الصُّراح من قلوبِهم وأفواههم وإعلامهم، بتحريض الجماهير لقول: "لا"؛ ليتسنَّى لهم العبث بتغيير الدستور الجديد، والعبث بالهويَّة المسلمة والعربيَّة.

وقد صرَّح بعضهم بالاستعداد التامِّ لتغيير المادة الثانية، أو الإضافة إليها بما يريدون، وفي ذلك عبث أيَّما عبث، ونفاقٌ أيَّما نفاق.

قال الشيخ جاد الحق علي جاد الحق شيخ الأزهر السابق - رحمه الله تعالى -: "إنَّ البحث عن هويَّة أخرى للأمة الإسلاميَّة خيانةٌ كبْرى، وجناية عظمى".

إن هؤلاء حقًّا يسيرون على درب التِّيه والضلال، والخيانة للدِّين والأوطان، كما أنَّهم يخطون حذو القُذَّة بالقذَّة خلف من سبقَهم ممن تآمروا على الهويَّة الإسلامية من قبل.

من أمثلة ذلك:

١ - مصطفى كمال أتاتورك: الذي مسخ هويَّة تركيا الإسلامية بالقهر، والذي قال: "كثيرًا ما وددتُ لو كان في وُسعي أن أقذف بجميع الأديان في البحر"، وهو الذي ألغى الخلافة، وعطَّل الشريعة، وألغى نصَّ الدستور على أن الإسلام هو الدين الرسميُّ للبلاد، وألغى المَحاكم الشرعية، والمدارس الدِّينية، والأوقاف، وألغى الأذان العربيَّ وحوَّله إلى التُّركية، وألغى الحروف العربيَّة واستبدل بِها اللاتينيَّة، وكان يقول: "انتصرت على العدوِّ وفتحتُ البلاد، هل أستطيع أن أنتصر على الشعب؟".

٢ - أغا أوغلي أحمد: الذي كان أحدَ غلاة الكماليِّين الأتراك القائل: "إننا عزَمْنا على أن نأخذ كلَّ ما عند الغربيين، حتَّى الالتهابات التي في رئيهم، والنجاسات التي في أمعائهم".

٣ - أحمد لطفي السيد: خَصْم العروبة والوَحدةِ الإسلاميَّة، وصاحب شعار "مصر للمصريين"، والنَّعرة الفرعونية، ويكفي في بيان عدائه للهويَّة الإسلامية أنه كان يَصِف نصَّ الدستور على أنَّ الدِّين الرسمي للدولة هو الإسلام بأنه: "النَّصُّ المشؤوم".

٤ - طه حسين: عميد التَّغريب، وداعيـة التَّبَعيـة المُطْلَقـة للغـرب حتَّـى في مفاسـده وشرورِه، والقائل: "لو وقف الدِّين الإسلاميُّ حاجزًا بيننا وبين فرعونيَّتِنا لنبذناه".

وقد طالب "عميدُ التغريب" بأن نسير سيرة الأوربِّيين، ونسلك طريقهم لنكون لهم أندادًا، ولنكون لهم شركاء في الحضارة خيرِها وشرِّها، حلوها ومُرِّها، وما يحبُّ منهـا ومـا يكره، وما يحمد وما يعاب.

٥ - محمود عزمي: الذي أعلن أنَّ سبب مقْتِه للحجاب مقتًا شديدًا "هو اعتباره مـن أصـلٍ غـير مصري، ودخولـه إلى العـادات المصريَّـة عـن طريـق تحكُّـم بعـض الفـاتحين الأجانب[١]، فكان حنقي على أولئك الأجانب الفاتحين الإسلاميِّين يزيد"[٢].

٦ - الشيخ علي عبد الرازق: الذي مَثُل أمام هيئة من كبار علماء الأزهر عـام ١٩٢٥، حيث أصدرت اللِّجنة بعد مناقشة طويلة معه حُكمًا بإدانته، وإخراجه مـن زُمـرة العلـماء، ومَحَوُا اسمه من سجلات الجامع الأزهر والمعاهد الأخرى، وطردوه من كلِّ وظيفـة دينيَّـة أو غير دينية؛ وذلك لكونه جعَل الشريعة الإسلاميَّة شريعـةً روحيَّـة مَحْضـة، لا علاقـة لهـا بالحُكم والتنفيذ في أمور الدُّنيا، وزَعْمِه أنَّ الدين لا يمنع أنَّ جهاد النبـيِّ - صـلَّى الله عليـه وسلَّم - كان في سبيل المُلك لا في سبيل الدِّين ولا الدعوة، وأن نظام الحكم في عهد النبـيِّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - كان موضعَ غموض أو إبهامٍ، واتِّهامه للصـحابة في أمـورٍ كثـيرة منها أمور القضاء والحكم والإمامة.

وقد كشفت صحيفة "ليفربول بوست" البريطانية عن هذه القبائح والمنكَرات التـي دبَّرها الاستعمارُ البريطاني، واتخذ علي عبدالرازق وسيلة لتنفيذها، تُعاوِنه طَغامةٌ من حزب الأحرار الدستوريِّين، نشرت الصحيفة المذكورة في ١٣ أغسطس سنة ١٩٢٥ مقـالاً جـاء فيه "... ولما عجز الأزهر عن حمل الحكومة على مُحاكمة الشيخ عبدالرازق، أصـدر قـرارًا بفصله من زُمرة العلماء"[٣].

والقائمة طويلة ستجد فيها: سلامة موسى، ولويس عوض، وجرجس زيدان، وفرج فوده، وحسين أحمد أمين، وزكي نجيب محمود، وغيرهم، لا كثَّر الله من سوادِهم.

ولكن مع كلِّ ذلك فإنَّ الله يسخِّر لدينه في كل وقت ومحنةٍ مَن يدافع عن هويته وعقائده ومبادئه، والتاريخ حافلٌ بِهؤلاء العظماء الأمْجاد، والعلماء والأدباء، من أمثال: شيخ الإسلام ابن تيميَّة، وتلميذه العلاَّمة ابن القيم، والعلامة المجدد محمد بن عبد الوهاب – رحمهم الله تعالى –.

ومن المعاصرين، كأمثال العلاَّمة محمود شاكر، وكذلك العلامة أحمد شاكر، والشيخ العلامة محمد ناصر الدين الألباني، والشيخ عبد العزيز بن باز، والشيخ محمد العثيمين، والشيخ محمد رشيد رضا، والدكتور محمد حسين الذهبي.

أو من الأدباء في الجملة ممن لهم توجه إسلامي، من أمثال الأديب الدكتور عبد الرحمن صالح العشماوي، ومصطفى صادق الرافعي، وأبي الحسن النَّدوي، وغيرِهم من العلماء الربانيين والمفكرين والأدباء، وإن كان لا يخلوا بعض المعاصرين والمتأخرين منهم من ملاحظات وأمور تؤخذ عليه، قد يعذر فيها ويقبل منه، وقد لا يعذر ويرد عليه فيها لبيان الحق بدليله، والأمر مرده للدليل والإنصاف معًا[٤].

الأمر الثانِي: السعي لتشويه الاتجاهات الإسلامية، والسلفية على رأسها:

لأن هؤلاء يعلمون يقينًا أنه لو ترك الأمر للشعوب حقًّا، كما تزعم الديمقراطية، وفتحت أبواب الحرِّية السياسيَّة أمامها، يعلمون أن الاتِّجاهات الإسلامية، خاصَّة "الإخوان المسلمين" و"السلفيِّين"، سيؤول الأمر والحكم إليهم يومًا ما، ويمتلكون زمام الحكم والسِّيادة، وعندها لا مكان لأيِّ منافق كذَّاب، ولا علمانيٍّ حقود، ولا ليبرالي مُخادع، فلن يكون إلا الحقُّ والعدل، وإلا الأمن والأمان، والسِّلم والسلام، هذا إذا كانوا سيطبقون الإسلام حقًا إذا تسلموا زمام الحكم ومقاليد البلاد والإدارة، وليس مجرد

شعارات جوفاء، وترديد ما لا يعمل حقًا كشعار "الإسلام هو الحل، شرع الله عز وجل".

ومن هنا ندرك حقًّا، تلك الممارسات السيِّئة لهذه الاتِّجاهات المعادية، لا أقول: للأحزاب والاتِّجاهات الإسلامية، بل معادية لدين الإسلام وشرعتِه وأحكامه، وندرك أنَّهم لا يريدون خيرًا للبلاد والعباد والأوطان.

ومن ثَمَّ عملوا على إشاعة حملات ضارية، ومعارك إعلاميَّة وسياسية رهيبة، حيث استخدَموا أبواقهم المسمومة للتخويف مما سمَّوه بـ: "الدولة الدينية"، و"الجماعات والأحزاب الإسلاميَّة" - وإن كنا لا نقر تحزبها ولا ريب -، ونشر الرُّعب والخوف في قلوب الناس من أن تعود البلاد مسلمةً عادلة، وأن الدولة الدِّينية ما هي إلاَّ نوع من التخلُّف والجمود والرجعيَّة - زعموا - وأنَّها ستقطع أيدي الناس وأرجلهم من خلاف، وتخرص أفواههم عن الكلام، وحياتَهم عن الحراك، واقتصادهم عن الإنتاج والعمل، وستجعل النهار ليلاً، والليل سوادًا قاتِمًا.

وكأنَّ الدولة هذه ليست هي حضارةَ الإسلام العريقة، وقِيمَه الفاضلة، وأخلاقه السَّامية، وتاريخه المشرق عبيرًا ونصرًا وعلمًا، وكأن دولة محمَّد بن عبد الله رسولِ البشرية - صلَّى الله عليه وسلَّم - سُلطةٌ دكتاتوريَّة، واتجاهٌ اشتراكيّ أو علماني، ومصالح شخصيَّة، ودولة خلفائه الراشدين من بعده أبي بكر وعمر وعثمان وعليٍّ - رضي الله عنهم - ما هي إلاَّ سُلطان جبروتي، وحكم طاغوتي، وهم - أيْ: دُعاة الباطل - أعلم بالحقِّ والعدل منهم، وأعلم بِمَصالح الوطن والسِّياسة منهم، ولا حول ولا قوَّة إلا بالله العليِّ العظيم.

ولقد رأينا تلك الهالة الكبيرة لتشويه الدَّعوة السلفيَّة، وادِّعاءَهم الكاذب أنَّها كانت مغمورة لا صوت لها ولا أتباع، طيلة السَّنوات الماضية، وما أن وقعت الثَّورة، وتغيَّر الواقع حتَّى خرجَت من جُحرها، ورفعت صوتَها، وليت شِعري حقًّا أيُّ افتراء بعد هذا؟

وأي نفاقٍ فوق هذا؟! وكأنَّهم نسوا أنَّها تعمل منذ عقود طويلة معهم، وأنَّ لها من القوة والانتشار والحقِّ، ما يفوق قوَّتَهم وأبواقهم.

كما أنَّهم نسوا أو تناسَوا - تَجاهُلاً منهم، واستغفالاً للجماهير العريضة - أنَّ تلك الحكومات والأنظمة العميلة، كمَّمت الأفواه، وأخرصَتْ كثيرًا من الشُّيوخ الدعاة، وحجرَت على المساجد والشَّباب، وفتحت أبواب السُّجون والمعتقلات لكلِّ داعية ومتديِّن، وسلَّطت عليهم الصَّعق بالكهرباء، وشُرب مياه المَجاري، والنَّوم على بلاط الأرض في البَرد القارس، ولا ننسى السلاسل والقيود في الأيدي والأرجُل، كما لا ننسى الهجوم بالليل بدون إذنٍ قضائي أو شرعي على البيوت، وكسْر الأبواب المغلقة، واقتحام حرمات المسلمين والمسلمات، التي حرَّمها الله ورسوله، وإرهابَ الآمنين والمساكين.

وكذلك تصيُّد أصحاب اللِّحى والاستقامةِ في معابر التَّفتيش والأمن في الطُّرقات، في مناسبة وغير مناسبة، والحَجْر عليهم، بل ونَقْلهم من أعمالهم ووظائفهم الرسمية، والتي هي حقُّهم المشروع إلى أعمالٍ إدارية وإضافيَّة، حتى لا يُحْدِثوا أثرًا ولا تغييرًا بحقٍّ في مكانِهم ووظائفهم.

وأما الإعلام المرئيُّ والمقروء والمسموع فحدِّث ولا حرج، عن برامج كثيرة، تُهْدر لها الأموال هدرًا، في سبيل تشويه الاتِّجاهات الإسلامية والدعوية، وصبِّ الغضب عليها وعلى شيوخها وشبابِها في الليل والنهار، ورَمْيِهم بكلِّ قبيح وسيِّئ من الأوصاف؛ من التخلُّف، والرَّجعية، والتطرُّف، وما إلى ذلك مما شبعنا منه كذبًا وافتراءً.

ثم بعد كلِّ هذا يقولون لنا الآن: أين كنتم؟ وأين صوتُكم؟!

والحقُّ أننا نعكس السُّؤال لهم أنفسهم، ونقول لهم: نحن كنَّا نعمل، ونُعتقَل، ونُوقَف ونُؤذَى، طيلة سنواتٍ طويلة، فأين كنتم أنتم من همومِ الأمَّة المسلمة، وقضاياها

ومشكلاتها؟ وأين كنتم يوم أن لعب اللاَّعبون، وأفسد المُفسِدون، ونَهبوا الثَّروات، واقتحموا الحُرمات، وأحدثوا ألوانًا لا حصر لها من البلايا والفساد والشُّرور؟!

الحقُّ أنَّهم كانوا موجودين بالفعل، لكنهم كانوا أعوانًا لهم، وسلطانًا معهم، وبوقًا لكذبِهم، وصوتًا مرعبًا لكل معارض وصاحب حق.

* * *

رابعًا - المنهج السلفي منهج الإسلام:

وهنا ألفت القلوب والأنظار إلى أنَّه لا ينبغي اليوم أن نلتفت إلى صراخ الصَّارخين، وأقلام الموتورين والمرجفين من المنافقين والعلمانيِّين وأذنابِهم، الذين يشوِّهون صورة الدَّعوة وشيوخَها ومنهجها على حدٍّ سواء.

كما ينبغي أيضًا أن نعلم أنَّ المنهج السلفيَّ ليس جماعة ولا حزبًا، إنما هو منهجٌ أصيل في الإسلام، فهو يُمثِّل صورة الإسلام الصحيحة، البعيدة كلَّ البعد عن الانحرافات الفكريَّة والعقَدِيَّة والمذهبية على طول التاريخ الإسلاميِّ، كما أنه لا يعني انتماءاتٍ ولا عصبيَّات، ورايات جاهلية، إنما هو الإسلام في صفائه وشموله.

إن الدعوة السَّلفية تَعْني: "الاتِّجاه المقدِّمَ للنُّصوص الشرعية على البدائل الأخرى؛ منهجًا وموضوعًا، الملتَزِمَ بِهَدْي الرَّسول - صلَّى الله عليه وسلَّم - وهَدْي أصحابه؛ عِلْمًا وعَمَلاً، المُطَّرِح للمناهج المخالفة لهذا الهَدْي في العقيدة والعبادة والتشريع".

أو هي: اصطلاحٌ جامع، يُطْلَق للدلالة على منهج السلف الصالح في تلَقِّي الإسلام وفهمه والعمل به، وللدلالة على التَّمسُّك بهذا المنهج، والعَضِّ عليه بالنواجذ؛ إيمانًا وتصديقًا واتِّباعًا.

إن السَّلفيةَ ليستْ مذهبًا مُبْتَدعًا، ولا طريقًا مُخالِفًا، كلاَّ، إنَّما السَّلفية تعني: الدَّعوة إلى الإسلام دين الله الحق، المُنَزَّل من عند الله تعالى، الذي أَرسل به جميع أنبيائه ورسُلِه، هُداةً للعالَمين ورَحْمة لهم، وعلى رأسهم النبي محمَّد - صلَّى الله عليه وسلَّم - الذي اصطفاه الله لهذه الدَّعوة والرِّسالة الخاتمة لجميع الدعوات والرِّسالات: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ: ٢٨]؛ الآيةَ".

كما أنَّ الدعوة إلى منهج السَّلَف تعني: إقامة شريعة هذا الدِّين في الأرض، وإقامة عقائده وشرائعه، ومبادئه وأخلاقه، كما أنَّها تَعْني صياغة الحياة البشريَّة كُلِّها بصبغة الربَّانية والعبودية لله تعالى وحده لا شريك له.

كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣]، وقال تعالى: ﴿ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ [الشورى: ١٣] الآية".

إنَّها ليست دعْوَةً إلى قَمْع البشرية واستعبادها، والسيطرة على مُقَدَّرات الشعوب وأقواتها، ونَهْب أموالها وممتلكاتها، كما فعلَتْه - في القرون المتأخِّرة - الشيوعيَّةُ الخبيثة المادِّية، بأفكارها ومعتقداتها الإلحادية الكافرة، أو كما تفعله أمريكا وأوربا بِمُبارَكةٍ وتخطيط يهوديٍّ صليبِي ماكر، أو حتىَّ ما يفعله أربابُ الأموال والثَّروات من الهنود واليابانيين والصينيِّين.

كما أنَّها ليست دعوةً للخروج على حُكْم الله وشريعته، بِدَعاوى التقدُّم والعلم، والانفتاحِ العلمي أمام البشريَّة؛ مما يَجْعلها ليست في حاجة إلى شريعة تَحْكمها، ولا دين يُنَظِّم شؤون حياتها.

كما أنَّها ليست دعوة مُستمدَّة من العقل والفكر البشري القاصر عن إدراك حقائق الأشياء، ولا الوصول إلى جميع مدلولاتها؛ لِيَصوغ لها قوانين بشرية في مجالات الحياة شتَّى، ثم يُحَكِّمها فيها، ويقول لها: هذا هو القانون العَصْريُّ الذي يتناسب مع طبيعة هذا الزَّمان.

فالسلفيَّة إذًا تعني العودة إلى منهج الإسلام وشريعته، والعودة إلى الكتاب والسُّنة بما كان عليه سلَفُ هذه الأُمَّة وصدْرُها الأول من أصحاب النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - والتابعين لهم بإحسان.

خصائص المنهج السلفي:

وهذا المنهج السلفيُّ له خصائص مهمَّة يتميَّز بها عن غيره، وقد حاولتُ استقصاءها قدر الإمكان، والوقوفَ معها بشيءٍ من الإشارة والبيان، فمن ذلك:

١ - المنهج السلفي منهج حياة شامل:

هذا المنهج ليس منهجًا قاصرًا عن مواكبة أحداث الحياة والعصر، وليس منهجًا ناقصًا يعتريه الخلل والخطأ، إنَّما هو منهجُ حياةٍ شاملٌ وكامل، صلح به المسلمون الأوائل، ومُكِّنوا به، وشموليته تعني دخولَ جميع مجالات الحياة البشريَّة في منهجه؛ من حياة الإنسان الخاصة، وإلى حياة الأُمم والعالَم.

فمن شموليَّتِه دخولُ العقيدة والعبادة والأخلاق في منهجه، ودخول شؤون المعاملات والتِّجارات والاقتصاد والسياسة، ومجالات العلم والبحث والفكر والتربية، وشؤون الحكم والسُّلطان، والحرب والسِّلم وأحكام الأسرة المسلمة، وغير ذلك مما يتعلَّق بجميع شؤون الإنسان في الحياة؛ كما قال تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

ومن صلاحيته أنَّه لا ينتهي عند زمان أو مكان، ولكنه صالح لكلِّ أهل زمان وعصر، ولكل أهل مكان ومصر، باقٍ إلى أن يرثَ الله الأرض ومَن عليها، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

يخطئُ قوم حينما يعتَقدون أنَّ هذا المنهج ثوبٌ أبيض قصير، وسواك في الفَم، ولحية تُعفَى، وعبارات وألفاظٌ لا يتخطَّاها المسلم في كلامه.

كلاَّ، إن كل هذا مطلوب شرعًا، سواء أكان من الفرائض والواجبات، أم كان من السُّنن والمستحبَّات، ولكنه لا يَعني أن المنهج قاصرٌ على هذا فحَسْب، إن هذا الدِّين كبيرٌ وعظيم، أكبر من أن يحتويَه عمَلُ عامل، أو عِلمُ عالِم، فلتكن نظرتنا صحيحة مستقيمة، إنَّما هو منهج حياة كامل، إن منهجنا عقيدة وعبادة، وأخلاق وتربية، وأقوالٌ وأفعال، ودنيا وأخرى، ومعاملات وآداب، وسياسة واقتصاد.

٢ - المنهج السلفي منهج قائم على التأصيل الشرعي:

نعم، منهجٌ قام على التأصيل الشرعي، وتقديمِ أدلته الصحيحة الواضحة على كلِّ دليل، منهجٌ ليس فيه تأصيل مُخالف للكتاب والسُّنة وما أجمعت عليه الأمة، وليس فيه تأصيل يوافق مناهجَ أهل البدع والأهواء، إلا أنَّهم هم يوافقونَه أحيانًا؛ لأنَّه الحق، ويخالفونه مرَّات ومرات، وليس فيه اتِّباعٌ على غير بصيرة وعلم، ولكنه منهجٌ قام على التدليل الصَّحيح، والتأصيل القويم، والفهم السَّديد، والحُجَّة الواضحة.

فمِن تأصيلات المنهج لزومُ اتِّباع الكتاب والسُّنة الصحيحة الثابتة، والحذر من اتِّباع الأهواء والبِدَع: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩]، وكما جاء في الحديث: ((فإنَّه من يعِشْ منكم فسيَرى اختلافًا كثيرًا))، ثم قال النبيُّ - صلَّى الله عليه وسلَّم -:((فعليكم بسُنَّتِي)).

ومن تأصيلات المنهج الاهتمامُ بالعقيدة والتوحيد في البناء الدَّعَوي والإيماني، وترسيخ ذلك في النُّفُوس، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٤].

ومِن تأصيلات المنهج تقديمُ النَّقل على العقل، مع الاعتِقاد بعدم تعارُض العقل مع النَّقل، ولا النقل مع العقل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهَّ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللهَّ إِنَّ اللهَّ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الحجرات: ١].

وقال ابن عبَّاس - رضي الله عنه -: "توشك أن تَنْزِل عليكم حجارةٌ من السماء؛ أقول: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - وتقولون: قال أبو بكر، وقال عمر!".

ومن تأصيلات المنهجِ: الرَّفضُ والبُعد عن التأويل الكلامي المرجوح؛ لأنَّه بِفَتح هذا الباب تقع المفاسد والتأويلات الكلاميَّة التي مصيرها إلى نَقْض عُرى الإسلام، وتَمييعِ شرائعه وعقيدته، فما خرَج الخوارج إلاَّ من هذا الباب، وما وقع من فِتَن وأصحابِ أهواءٍ وتأويل فاسد، فقتَلوا الصحابة، وسفَكوا دماءَهم، وكان ما كان بينهم، وأمرهم جميعًا إلى الله.

ومن تأصيلات المنهج لزومُ الجماعة مع حسن السَّمع والطاعة لولاة الأمر في غير معصية أو إظهارِ كُفر عندنا فيه من الله برهانٌ، كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَّ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهَّ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهَّ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩].

ومن تأصيلات المنهج صحَّةُ العقيدة، وصحة العبادة، وصحة السُّلوك والأخلاق؛ إذْ مِن دونها ينحرف الإنسان، ويُخالف الصِّراط المستقيم؛ إذْ إنَّ انحراف العقيدة يوقع صاحبَه في لُبابٍ من الزَّيغ والضلال، ويوقع في البدع والأهواء، وكذلك العبادة والسُّلوك.

فلا بدَّ للسالك في هذا المنهج أن تصحَّ له الطُّرق الثلاث: العقيدة والإيمان، والعبـادة، والسُّلوك.

٣ - المنهج السلفي تجديدي لا تقليدي:

والمتأمِّل في طبيعة هذا المنهج يراه على خلافِ ما يرميه به أعداؤُه وخصومه، بأنَّه منهجٌ تقليدي ليس فيه تجديد، وإنَّما هو دعوة للعودة للقديم والتقليد لهم في شتَّى مجالات الحياة.

ولا ريب أن هذا وهمٌ حقيقي، وادِّعاء باطل، ليس له في حقيقة الأمر من نصيب؛ لأنَّه مبنيٌّ على مُغالطات بعيدة كلَّ البعد عن القراءة التاريخية لمنهج السَّلف، كما أنه بعيدٌ أيضًـا عن طبيعة ومقوِّمات المنهج، كما أنه مُخالف لواقع المنهج نفسه.

لأنَّ مدرسة السلَف كلها مدرسة تجديديَّة بطبيعتهـا، تـأنف التقليـدَ الأعمـى، وتـردُّ القول الخطأ على قائله، بل وتعمد إلى فتح باب الاجتهـاد بضـوابطه الشرعيَّـة الصـحيحة، بخلاف القائلين بإغلاقه، أو المتفلِّتين من ضوابطه، إلى جانب أنها عُمِّرَت كثيرًا بالمُجدِّدين على طول التاريخ من أمثال الخليفة عُمر بن عبدالعزيز، والإمام الشـافعيِّ، والإمـام أحمـد، والإمام خاتمة الحُفَّاظ وشيخ الإسلام ابن تيميَّة - رحمهم الله جميعًا.

كما أنَّنا نتنبه إلى أمرٍ خطير، وهو الفارق بين التجديد الشرعيِّ الوارد في حديث النبـيِّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - على رأس المائة عام، وبين التجديد الـذي يـدعو لـه اليـوم دعـاةُ الباطل، والذي في مجمله يعني التخلِّي الصريح عـن مبـادئ الإسـلام وتشريعاتـه؛ لأنَّهـا في نظرهم انتهَت صلاحيتها منذ القرون الأولى السَّالفة.

فالتجديد عندهم أن نَختلق تشريعاتٍ بشريَّةً قاصرة من جديد، بعيدًا عن نور السـماء ووحي الله المعصوم؛ لتتناسب - في زعمهم - مع العصر الحديث.

وقد بدا لنا من خلال تطوُّرات الأحداث في الحِقبة الأخيرة، كم عَمِل حَمَلةُ المنهج على تصفيته وتجديده من كلِّ ما علق به على طول التاريخ من الأهواء والبِدَع والمخالفات، التي غيَّرت كثيرًا في ملامح المنهج الإسلامي الصافي، سواءٌ من أهله وأتباعه، أو من مُخالفيه وأعدائه.

وهذا ما نحاول إبرازه والوقوف عليه من خلال حديثنًا عن هذا المنهج السلفي والحاجة إليه، وأنه منهج يحمل كلَّ مقوِّمات التمكين العقَدِيَّة، والتعبُّدية، والأخلاقية، والتشريعية، والاقتصادية، والسِّياسية، وغيرها من المقومات اللازمة لبناء أيِّ حضارة وتقدُّم.

* * *

* المنهج السلفي ودوره الإصلاحي:

والمتأمِّل في تاريخ الدعوة الإسلامية يرى أن منهج الصحابة - رضي الله عنهم - والتابعين قام في حقيقة الأمر على تعظيم نصوص الوحيين؛ القرآن، والسُّنة، وكمال التسليم لهما.

أما المخالفون لمنهجهم وطريقهم من أهل البدع والأهواء، فقد زلَّت أقدامهم، وضلت عقولهم في ذلك، فحرَّفوا، وغيَّروا، وبدلوا، وأوَّلوا، ووقعوا في الفتنة والزيغ والضَّلال، فضلُّوا وأضَلُّوا عن سواء السبيل.

وإن الحقِّ والهدى والنَّجاة في متابعة ما كان عليه أصحاب النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم -فإنهم كانوا على الهدى المستقيم، ولهذا جعلهم النبيُّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - الميزان الحقَّ حين وقوع الفِتَن والافتراق في أمته، كما جاء في الحديث المحفوظ المشهور حديث الافتراق الذي وقعت فيه الأمم،والذي يقول فيه النبيُّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - :((افترقَت اليهودُ على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النَّصارى على اثنتين وسبعين فرقة،

وستفترق هذه الأمَّة على ثلاثٍ وسبعين فرقة، كلُّها في النار إلاَّ واحدة)) قيل: من هي يا رسول الله؟ قال: ((من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي)).

وفي بعض الروليات: ((هي الجماعة))؛ رواه أبو داود، والترمذي، ولبن ماجه، والحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم.

ومن هنا وقع كثيرٌ من الاختلاف والافتراق في كثيرٍ من الأحكام؛ بسبب سوء الفَهْم للإسلام، وتفرَّقَت هذه الفِرَق هي الأخرى إلى فرق شتَّى، فكان من اللازم التصدِّي لهذه الفرق وبدعها التي أحدثَتْها في الإسلام.

ولقد وقف المنهج السلفيُّ على طول التاريخ الإسلامي كلِّه أمام كلِّ هذه الفرق والمذاهب التي فارقت وخالفَت الكتاب والسُّنة وما أجمع عليه الصحابة والتابعون، بدءًا من الخوارج والقدريَّة والشيعة والمرجئة ومن سار على منوالهم، وقارع بعضُ الصحابة هؤلاء من أمثال عبد الله بن عبَّاس، وابن مسعود - رضي الله عنهم جميعًا.

كما تصدَّى جاهدًا أمام العقل المعتزليِّ والفلسفي، وأصحاب التأويل والتعطيل، وبين فساد ما ذهبوا إليه وخالفوا فيه من الحقِّ والسنن.

وفي العَصْرِ الحديث اليوم وقف المنهجُ أيضًا بقوَّة وثِقَة ثابتة أمام التيَّارات والأفكار والمذاهب المُحاربة للإسلام؛ من الشُّيوعية الماركسية، والعلمانيَّة، والاشتراكية، وغيرها، وما تولَّد منها.

وقف ليبيِّن للناس معالم الطريق والتمكين، ومعالم الشريعة والدِّين، ومعالم الحضارة الإسلامية المثالية الأرقى، ولهذا لم يتوقَّف هؤلاء عن مُعاداته والتشهير به، والنَّيل منه، والكيد له ولأتباعه، ورميهم بالتخلُّف والجمود، والرجعيَّة والأصولية.

أما اليوم فصار له دور كبيرٌ جديد، يُضاف إلى دوره الأول من التصدِّي للمناهج المُخالفة، وذلك من خلال عدَّة أمور، نوجزها فيما يلي:

الأول: التصدِّي للمناهج والمذاهب والفرق التي خالفَتْ منهج الكتاب والسُّنة وفَهْم السَّلف الصالح، مع بيان الحقِّ في ذلك بأدلته الصحيحة، من فِرَق البعثيَّة، والاشتراكية، والقوميَّة، والقاديانية، والبهائيَّة، وماسواها من الفرق والمذاهب، وما بقي على شعاره القديم كالشِّيعة، والرافضة، والنُّصيرية، والإسماعيلية، والخوارج ونحو ذلك.

الثانِي: العمل على إحياء الإسلام وفق منهج السَّلَف الصالِح، وتصفية الإسلام وشريعته مما علق به من المخالفات والأهواء والبِدَع، إضافةً إلى تشويه صورة الإسلام الصَّحيحة، وهذا ولا ريب دورٌ كبير وجليل، وقف منه الاتِّجاه السلفيُّ موقفًا حازمًا، ولكن يحتاج إلى مزيدِ بيان ومنهجيَّة، حتى تستبينَ معالِمَ الطريق.

الثالث: العمل على تأهيل الأمَّة الإسلامية لمرحلة الخلافة الرَّاشدة، وإقامة دولة الإسلام الَّتي توحِّد الأمة على تحكيم شريعة الكتاب والسُّنة الصافية، وفق منهاج النُّبوة، كما جاء في الحديث المحفوظ: ((ثُمَّ تكون خلافةٌ على منهاج النُّبوة)).

وهذه الخلافة الموعودة هي التَّمكين الربَّاني من الله تعالى لدينه وأوليائه في الأرض، وقيامهم بِهذه الدعوة الإسلاميَّة الصافية من جديد، وهذا لا يتأتَّى إلا بِبَذل النُّفوس والأموال والأوقات دونَه، ولا يتأتَّى إلا بالتضحية الصادقة لهذا المنهج.

ولا يتأتَّى إلا بعد أن يبدو هذا المنهجُ صحيحًا واضحًا؛ اعتقادًا وقولاً، وفهمًا وعملاً، وفق منهاج الكتاب والسُّنة، وما كان عليه السلف الصالح من صدر الإسلام الأول.

وصدق الله تعالى إذْ يقول: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ * إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ * وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ *قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٥ - ١٠٨].

*** الهوامش:**

---

[١] انظر إلى تجرُّده من هويته، ولمزه للصَّحابة الكرام وعلى رأسهم عمر بن الخطاب، وعمرو بن العاص - رضي الله عنهم أجمعين - وإذا كانوا هم من الإسلاميِّين، فهو يا ترى من يكون..؟!

[٢] "هويتنا أو الهاوية".

[٣] "العالم الإسلامي والمكايد الدولية"، فتحي يكن.

[٤] انظر "هويتنا أو الهاوية".

الموقف من الأحزاب الإسلامية والمشاركة السياسية

*** واقع يتغير وفتاوى متباينة:**

مما لا شك فيه أن المنهج السلفي في حقيقته وجوهره يعني؛ منهج الإسلام وهو الالتزام بأحكام الإسلام وأصوله في العقيدة والعبادة والأخلاق والمعاملة بما كان عليه صدر الإسلام الأول في عصر النبوة والسلف الصالح من الصحابة والتابعين، وذلك قبل وقوع التفرق في هذه الأمة المرحومة، وقبل خروج أهل البدع والأهواء فيها، وهذه مسلمة لا غبار عليها.

والمتأمل لحال الدعوة ونظرتها في تلك الأحداث الأخيرة من التظاهرات والثورات، في بعض البلاد الإسلامية والعربية، يرى أن الكثير من أهل العلم وطلابه، تعددت أقوالهم في ثلاثة مسائل مهمة فيها:

الأولى: هل ما حدث من الثورات والمظاهرات كان من باب الخروج على الحكام أم ليس منه؟

الثانية: حكم الخروج على الحاكم الجائر المعلن بفجوره، والموالي لأعداء الله ورسوله، والمجاهد من أجل ترسيخ القوانين الكافرة والعلمانية في بلاد المسلمين، والمانع لأهل العلم والحق من الدعوة في كثير من الأحيان؟

وهل هذه الفسق والفجور سبب للخروج عليه؟

الثالثة: حكم المظاهرات؟ وهل هي من التقليد للغرب الكافر؟

أم أنه ينظر فيها فيما وافقت فيه الخير ومنفعة الناس؟ وما حكم التظاهر السلمي؟

الرابعة: حكم تكوين أحزاب إسلامية ليس للتحزب والتفرق في الدين، إنما لمواجهة التيارات العلمانية والليبرالية، وصد الهجمات ضد الإسلام، وضد فرض أحكام الكفر والعلمانية؟ وحكم المشاركة السياسية معها ودعمها؟

وحكم دخول البرلمانات والمجالس التشريعية لدفع أكبر الأضرار ضد بلاد المسلمين وعقيدتهم من باب ارتكاب أخف الضررين، ودفع أكبر المفسدتين؟

وقد انقسمت وتعددت الآراء والفتاوى إلى أقسام أيضًا:

الفريق الأول:

يرى أن هذا من الخروج على الحكام، وأن الواجب الصبر عليهم والمناصحة لهم عملًا بالأصل، ودفعًا للمفاسد المتوقعة، وأن المظاهرات من التقليد للغرب، وظاهرة غير إسلامية، وأن المشاركة السياسية لا تسمن ولا تغني من جوع، ومن هنا فلا حاجة إليها عملًا بالأصل أيضًا، لأن المجالس هذه مخالفة لنظام الحكم في الإسلام.

الفريق الثاني:

يرى أن ما حدث ليس من باب الخروج على ولاة الأمر، لأن هؤلاء ليسوا بالأصل ولاة أمر شرعيين ولا هم من أهل العدل أو الفسق، إنما هؤلاء يحاربون الإسلام، ويحكمون الشريعة الوضعية الكافرة.

وأن المظاهرات ليست من الخروج كذلك، إنما هي من باب الأمر بالمعروف ورفع الظلم عن الشعب المقهور حتى لو كانت مطالب دنيوية إلا أنها من الواجبات على الحكام.

وكذلك المشاركة السياسية ليست إلا لدفع الضرر الواقع بالفعل على الناس طيلة عقود طويلة، ومفاسد هؤلاء الحكام أكثر من أن تحصى.

وكلا هما يستدل بجملة من النصوص الشرعية، والفتاوى العلمية، والتجارب الواقعية قياسًا على وقائع وأحداث ومن ثم اختلاف ظاهر بينهما، وإن كان هناك فريق ثالث، آثر الصمت والسكوت حفظًا للنفس عن مواطن الفتن.

* * *

* قراءة الأحداث بين الغموض والبيان:

وهنا لا بد من بيان مسألة مهمة، وهي مسألة الأحزاب الإسلامية، وحكم المشاركة السياسية، فنقول أولًا، أن الأصل فيها هو المنع والحظر، عملًا بعموم الأدلة الشرعية في النهي عن التفرق والتحزب، وهذا لا خلاف فيه، وهذا موقفنا الواضح فيها كما سيأتي.

وقد بينت ذلك وأكدته في كتابي (المنهج السلفي معالم على طريق الدعوة والتمكين)، ثم لما وقعت الأحداث الجارية من قيام الثورات والتظاهرات العارمة في بعض البلاد الإسلامية والعربية، أصدرت كتابي الجديد (المنهج السلفي بين العداء والمضاء)، وبينت فيه أن ما وقع، فيه من الفتن ما فيه، وفيه من الحكم الشرعية والكونية ما فيه، وذلك بسبب الظلم الواقع على كثير من شعوب الأمة الإسلامية من حكامها وأنظمتها، وأيضًا من جراء تحكيم القوانين العلمانية الغربية الكافرة.

وأكدت في كتابي الأخير هذا على ضرورة إيجاد الوعي الإسلامي الصحيح الشامل للإسلام لدى جماهير المسلمين وعامتهم، وأيضًا الوعي السياسي الصحيح بين الراعي والرعية، كما أشار إليها شيخ الإسلام بن تيمية، وكان ذلك عقب أحداث الثورة المصرية والتونسية بشهور قليلة.

إلا أن البعض حمل ذلك على التوجه الحزبي للاتجاه السلفي بمصر، وظن أنه مناداة بأحزاب سلفية تقف أمام الأحزاب العلمانية والسياسة الأخرى زعموا.

وحقيقة الأمر؛ أن هذا خلط في فهم حقيقة الكلام، ذلك أن هناك فرق بين عرض الإسلام وإيجاد الوعي الصحيح، وكذلك إيجاد الوعي السياسي الشرعي كما بينه أهل العلم وعلى رأسهم شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى –، وفرق بين التحزب البغيض خاصة إذا خاض لجج السياسة المعاصرة الماكرة.

فموقفنا من قيام حزب سلفي سياسي، كموقفنا من سائر الأحزاب الأخرى السياسية والدعوية، ولا يزعم زاعم أن هذا جهل بالواقع وتغير مجريات الأحداث قبل وبعد أحداث الثورات العربية والشعوبية على حكامها، إذ آفة الاختلاف البغيض الرمي والظن دون التبصر بالحقائق الشرعية الكبرى.

* * *

*** اجتهادات أخرى تريد الخير:**

إلا أن الاجتهاد في الواقع جعل بعضًا من أهل العلم يتخذون سبيلًا آخر، وهو سبيل المشاركة السياسية، نظرًا لتغير الواقع وأسبابه، وصدًا للحملة الضارية من المنافقين والعلمانيين وأذنابهم، الذين يريدون إلغاء الهوية الإسلامية للدولة، ويسعون لذلك بكل أسلحتهم وأبواقهم.

فهؤلاء الفضلاء نظروا للمسألة باعتبارات متعددة منها:

اعتبار المشاركة السياسية ضرورة لا اختيارًا، حيث أن أهل الباطل يزحفون بباطلهم نحو السيطرة على الدولة المسلمة، بطرق وأساليب شتى، والسعي لطمس هوية الدولة الإسلامية، وتغريبها زيادة عما هي فيه من الإغراق في الشهوات والفتن، والضعف السياسي والاقتصادي، والموالاة والتبعية العمياء للغرب الكافر والشرق الملحد.

ومنها؛ دفع المسلم نحو العمل الجماعي الإيجابي لا السلبي، وخلق مناخ جديد يضاف لرصيد الدعوة الإسلامية، من خلاله تفتح آفاق كثيرة أمام مسيرتها الطويلة، لإقامة دولة الإسلام.

ومنها؛ أن الإحجام عن المشاركة السياسية بعد تغير الأوضاع، وإزالة نظام الحكم السابق، هو من قصور النظر في فهم طبيعة العمل السياسي في الإسلام، والقواعد الشرعية والفقهية، من دفع الأعداء، والمحافظة على بيضة الإسلام، وارتكاب أخف الضررين، ودفع أكبر المفسدتين، والظن بمصلحة راجحة، وغير ذلك.

* * *

* موقفنا من الأحزاب والمشاركة السياسية:

وهنا نقف على بيان المسألة من أصلها والموقف الواضح منها: الأدلة الشرعية في النهي عن التحزب والتفرق والاختلاف:

ونحن نؤكد ذلك بأدلة الحق ناصعة بيضاء، على أن قيام الأحزاب عامة، فضلًا عن حزب سلفي، أمر مخالف لأصل من أصول الشريعة الإسلامية، وهو الاعتصام بحبل الله جميعًا، ووجوب لزوم جماعة المسلمين الأم، وهي السواد الأعظم، فنحن دعوية سلفية منهجية على أصل الإسلام، ولسنا دعوة سياسية أو حزبية، ودائرة التعاون على البر والتقوى والخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واسعة ورحبة.

وكذلك لأدلة شرعية معتبرة واضحة الدلالة، فمن ذلك:

* أما القرآن:

ففي وجوب الاعتصام بحبل الله وشريعته، والتحذير من التفرق في الدين والتحزب، قال الله تعالى: ((وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ

أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَـئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللهِّ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)) [سورة آل عمران: الآيات١٠٣ – ١٠٧].

قال ابن سعدي – رحمه الله –: (ثم أمرهم تعالى بما يعينهم على التقوى وهو الاجتماع والاعتصام بدين الله، وكون دعوى المؤمنين واحدة مؤتلفين غير مختلفين، فإن في اجتماع المسلمين على دينهم، وائتلاف قلوبهم يصلح دينهم وتصلح دنياهم وبالاجتماع يتمكنون من كل أمر من الأمور، ويحصل لهم من المصالح التي تتوقف على الائتلاف ما لا يمكن عدها، من التعاون على البر والتقوى، كما أن بالافتراق والتعادي يختل نظامهم وتنقطع روابطهم ويصير كل واحد يعمل ويسعى في شهوة نفسه، ولو أدى إلى الضرر العام) [تفسير ابن سعدي: سورة آل عمران].

وفي الأمر بطاعة الله ورسوله، والتحذير من التنازع الذي يؤدي للفشل وذهاب الريح والقوة، قال تعالى: ((وَأَطِيعُواْ اللهَّ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللهَّ مَعَ الصَّابِرِين)) [الأنفال: ٤٦].

وقال سبحانه: ((إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللهِّ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ)) [الأنعام: ١٥٩].

وفي اتباع السبيل الأوحد وهو صراط الدين القويم، والحذر من متابعة سبل الكافرين والمنافقين، قال الله تعالى: ((وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ

عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)) [الأنعام: ١٥٣]. فدلت الآية على أن الحق طريقه واحد، أما طرق الكافرين والمنافقين فما أكثرها.

وكذلك قوله تعالى: ((شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ)) [الشورى: ١٣].

وقوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللهّ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهّ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهّ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً)) [النساء: ٥٩].

وقول الله عز وجل: ((وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ)) [سورة المائدة: ٢].

* وأما السنة:

فقد جاء في السنة النبوية حديث العرباض بن سارية مرفوعًا: ((أوصيكم بتقوى الله و السمع والطاعة وإن أمر عليكم عبد حبشي فإنه من يعش منكم بعدي فسيري اختلافًا كثيرًا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة)). أخرجه أحمد.

وفي الحديث الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: ((تفرقت اليهود على إحدى وسبعين أو اثنتين وسبعين فرقة والنصارى مثل ذلك وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة)). رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح، وأخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجه والحاكم وصححه.

وروى الإمام أحمد عن معاذ بن جبل أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: ((إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم، يأخذ الشاة الشاردة القاصية، فإياكم والشعاب! وعليكم بالجماعة، والعامة، والمسجد)).

وعن عَبْدِ اللهَّ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللهَّ – صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – خَطًّا ثُمَّ قَالَ: ((هَذَا سَبِيلُ اللهَّ))، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: ((هَذِهِ سُبُلٌ قَالَ يَزِيدُ مُتَفَرِّقَةٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ))، ثُمَّ قَرَأَ: ((إِنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ)). رواه أحمد مسند عبد الله بن مسعود.

وقوله – صلى الله عليه وسلم –: ((لَا حِلْفَ فِي الْإِسْلَامِ وَأَيُّمَا حِلْفٍ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَمْ يَزِدْهُ الْإِسْلَامُ إِلَّا شِدَّةً)). رواه مسلم.

وقوله – صلى الله عليه وسلم –: ((مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً)) متفق عليه.

و قوله – صلى الله عليه وسلم –: ((لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ وَكُونُوا عِبَادَ اللهَّ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ)). رواه مسلم.

و قوله – صلى الله عليه وسلم –: ((مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى)) رواه مسلم.

وفي رواية الإمام أحمد: ((مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا أَلِمَ بَعْضُهُ تَدَاعَى سَائِرُهُ)).

والأدلة على جوب الاعتصام بالأمة الواحدة، والتحذير من التفرق والتشرذم والتحزب كثيرة معتبرة واضحة جلية.

* وأيضًا فإن إنشاء الأحزاب والمشاركة السياسية يشتمل على عدد من المحاذير الشرعية والواقعية، ويضاف ذلك إلى جملة الأدلة الآنف ذكرها منها:

أولًا: أن التحزب في أصله مخالفة لأمر الكتاب والسنة الصريح بوجوب الوحدة والاعتصام، (واعتصموا بحبل الله جميعًا)، والحزبية تفريق لهذا الاعتصام والتجمع العام على كلمة واحدة.

قال ابن القيم – رحمه الله –: (ومن صفات هؤلاء الغرباء – الذين غبطهم النبي – صلى الله عليه وسلم – التمسك بالسنة إذا رغب عنها الناس وترك ما أحدثوه وإن كان هو المعروف عندهم، وتجريد التوحيد وإن أنكر ذلك أكثر الناس، وترك الانتساب إلى أحد غير الله ورسوله، لا شيخ، ولا طريقة، ولا مذهب، ولا طائفة، بل هؤلاء الغرباء منتسبون إلى الله بالعبودية له وحده، وإلى رسوله بالاتباع لما جاء به وحده، وهؤلاء هم القابضون على الجمر حقاً وأكثر الناس، بل كلهم لائم لهم، فلغربتهم بين هذا الخلق، يعدونهم أهل شذوذ وبدعة ومفارقة للسواد الأعظم).

ثانيًا: ومنها، أنه أمر محدث في الدين وكل بدعة ضلالة كما جاء في حديث الإمام مسلم: (من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد).

ثالثًا: ومنها؛ أنه يؤدي واقعًا إلى الولاء والانتماء الحزبي، وليس الولاء والبراء لمنهج الإسلام الحق، مع مضي الزمان، ومن ثم يؤول إلى التعصب الأعمى المذموم شرعًا، كما يؤول إلى التنابز بالألقاب والغمز واللمز، والانتقاص من الآخرين، وهذا مشاهد لكل ذي بصيرة وإنصاف.

رابعًا: ومنها، أنه يؤول بكثير من أهله إلى التجمع المذموم مع الفرق والجماعات والأحزاب المخالفة لمنهج الإسلام جملة وتفصيلًا أو بعضه، وكذلك موالاة الأحزاب والفرق البدعية، وهذا ليس منهاج النبوة ولا السلف الصالح – رضي الله عنهم .

خامسًا: ومنها، أنه يؤول أيضًا بأهله إلى تقديم كثير من التنازلات في مسائل الشريعة وأحكامها في العقيدة والعبادة والأخلاق، لينالوا بذلك بعضًا من عرض الدنيا الفانية، ومزاحمة أهلها فيها، وكم رأينا ذلك جليًا.

سادسًا: ومنها؛ أنه مخالف للطريق الشرعي الصحيح لإقامة دولة الإسلام، لأن الطريق إلى دولة الإسلام يكون وفق منهاج النبوة في دعوة الناس إلى التوحيد الخالص، وتربيتهم على المنهج الصحيح الشامل، وتبصيرهم بحقائق الإسلام وشرائعه، ومن ثم تقام الدولة في قلوبهم وعقائدهم، فيمكن الله لهم في بلادهم وأرضهم.

سابعًا: ومنها؛ أنه من صنيع المخالفين وأعداء الإسلام، ومن ثم لا يمكنون أهل الدين والشريعة من أن يتملكوا ناصية القيادة من هذا الطريق، طريق الديمقراطية والصناديق الانتخابية، فدونه دمائهم إلا بما شاء الله بعلمه.

ثامنًا: ومنها؛ أن كلمة أهل العلم وفتاويهم من هذه الأمة جلية في بيان الاعتصام بالكتاب والسنة، وما كان عليه السلف الصالح، والتحذير من الافتراق والحزبية، والتعصب الأعمى للفرق والجماعات، وقد أمرنا باتباعهم ما وافقوا الحق وطلبوه بدليله.

سئل فضيلة الشيخ العلاّمة صالح الفوزان: هل يجوز للعلماء أن يبيّنوا للشباب وللعامة خطر التحزب والتفرق والجماعات؟

فأجاب: (نعم يجب بيان خطر التحزب وخطر الانقسام والتفرق ليكون الناس على بصيرة لأنه حتى العوام الآن انخدعوا ببعض الجماعات يظنون أنها على الحق، فلا بد أن نبين للناس المتعلمين والعوام خطر الأحزاب والفرق لأنهم إذا سكتوا قال الناس: العلماء كانوا عارفين عن هذا وساكتين عليه، فيدخل الضلال من هذا الباب، فلا بد من البيان عندما تحدث مثل هذه الأمور، والخطر على العوام أكثر من الخطر على المتعلمين، لأن

العوام مع سكوت العلماء يظنون أن هذا هو الصحيح وهذا هو الحق). [الأجوبة المفيدة ص: ٦٨].

تاسعًا: ومنها، أنه يؤول أيضًا في حالة الضعف والوهن، وتقديم صورًا من الخلط والتنازلات، إلى تقديم صورة غير مرضية عن الدعوة الصحيحة الصافية، فيرجع ذلك على الدعوة والدعاة بوصفهم بالحزبية والاختلاف، ومن ثم يكون كما كان مع غيرهم من الاتجاهات الأخرى.

عاشرًا: ومنها، أن قانون الأحزاب والتأسيس لها، يفرض على أصحابها ألا يكون دينيًا أو إسلاميًا، إنما يكون لجميع أصحاب الوطن الواحد، أي خليط من الأعضاء.

هذه جملة الأدلة الشرعية الواضحة المعتبرة في موقفنا من الأحزاب والمشاركة السياسية، وقد أوردته هنا حتى لا تختلط الأصول وقواطعها في بعض الأفهام من قريب أو بعيد.

* * *

* المشاركة السياسية المشروطة:

ونحن مع هذا الموقف الواضح إذا تجوزنا في القول بإباحة المشاركة السياسية للتيار السلفي خاصة، فإن ذلك باعتبار واحد، وهو المصلحة الراجحة في الوقت وغلبة الظن فيها، وذلك لا يكون إلا بشروط وضوابط منها:

الضابط الأول: أن تكون نية العمل في مواجهة الظالمين والمفسدين في بلاد المسلمين، وصد الحملة العلمانية ضد الهوية الإسلامية وأصول الشريعة الغراء.

الضابط الثاني: الكفر بمباديء الديمقراطية المخالفة في جملتها وأحكامها لمباديء الإسلام وشريعته.

الضابط الثالث: السعي لإقامة حكم الإسلام وتحكيمه من خلال تلك المجالس والبرلمانات، والوقوف أمام إصدار أي قانون أو تشريع يضاد حكم الإسلام ومصالح الأمة المسلمة، والعمل بما غلبت فيه المصالح على المفاسد.

الضابط الرابع: أن يكون لهؤلاء الأعضاء الإسلاميين المشاركين مرجعية صحيحة شرعية من جمع من أهل العلم الفضلاء، لا يصدرون إلا عن رأيهم واجتهادهم.

الضابط الخامس: الانسحاب الفوري من تلك المشاركة السياسية، وتلك المجالس التشريعية، إذا ثبت عدم جدواها وإصلاحها لحال البلاد والعباد وفق منهج الإسلام، ومن خلال آليتها تلك، والعودة إلى ميدان الدعوة الأرحب والأوسع صدرًا وعملًا، ولا يكن الأمر متذبذبًا.

فإذا توفرت واقعًا تلك الضوابط والشروط في المشاركة السياسية لهم، وثبت صلاحها، فقد يقال بعدها أنها من جملة المصالح والفوائد للمسلمين، وقد يكون معتبرًا عندها كما أفتى به عدد من أهل العلم، كالشيخ ابن باز والعثيمين والألباني – رحمهم الله – في بعضها، واللجنة الدائمة كذلك.

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: "فالواجب على المسلم أن يجتهد في ذلك حسب الوسع فمن وُلِّيَ ولاية يقصد بها طاعة الله وإقامة ما يمكنه من دينه ومصالح المسلمين وأقام فيها ما يمكنه من الواجبات واجتناب ما يمكنه من المحرمات لا يؤاخذ بما يعجز عنه، فإن تولية الأبرار خير للأمة من تولية الفجار، ومن كان عاجزاً عن إقامة الدين بالسلطان والجهاد ففعل ما يقدر عليه من الخير لم يكلف ما يعجز عنه فإن قوام الدين بالكتاب الهادي والحديد الناصر" انتهى كلامه. [مجموع الفتاوى ج٢٨ ص ٣٩٦].

وقد ورد إلى الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله – في إحدى محاضراته سؤال من الكويت: ما حكم الانتخابات الموجودة عندنا في الكويت علماً بان أغلب من دخلها من الإسلاميين ورجال الدعوة فتنوا في دينهم؟

فأجاب: أنا أرى أن الانتخابات واجبة، يجب أن نعين من نرى أن فيه خيراً، لأنه إذا تقاعس أهل الخير من يحل محلهم ؟ أهل الشر، أو الناس السلبيون الذين ليس عندهم لا خير ولا شر، أتباع كل ناعق، فلابد أن نختار من نراه صالحاً.

فإذا قال قائل: اخترنا واحداً لكن أغلب المجلس على خلاف ذلك، نقول: لا بأس، هذا الواحد إذا جعل الله فيه بركة، و ألقى كلمة حق في هذا المجلس سيكون لها تأثير و لابد، ولكن ينقصنا الصدق مع الله، نعتمد على الأمور المادية الحسية، و لا ننظر إلى كلمة الله عز وجل..

فأقول: حتى لو فرض أن مجلس البرلمان ليس فيه إلا عدد قليل من أهل الحق و الصواب سينفعون، لكن عليهم أن يصدقوا الله عز وجل.

أما القول: أن البرلمان لا يجوز ولا مشاركة الفاسقين، ولا الجلوس معهم، هل نجلس معهم لنوافقهم؟ نجلس معهم لنبين لهم الصواب. بعض الإخوان من أهل العلم قالوا: لا تجوز المشاركة لأن هذا الرجل المستقيم يجلس إلى الرجل المنحرف، هل هذا الرجل المستقيم جلس لينحرف أم ليقيم المعوج؟ نعم ليقيم المعوج، ويعدل المنحرف، إذا لم ينجح هذه المرة نجح في المرة الثانية.

وكذلك الشيخ الألباني – رحمه الله –: "و لكن لا أرى ما يمنع الشعب المسلم إذا كان في المرشحين من يعادي الإسلام و فيهم مرشحون إسلاميون من أحزاب مختلفة المناهج فتصح – و الحالة هذه – كل مسلم أن ينتخب من الإسلاميين و من هو أقرب إلى

المنهج العلمي الصحيح" [المجلة السلفية الصادرة بالسعودية؛ العدد ٠٣ لسنة ١٤١٨ هـ : ص ٢٩].

وخلاصة القول:

أننا نقول أن هذا لم يوجد إلى اليوم - إلا ما رحم الله - في مشاركة الإسلاميين في عدد من الدول، مثل الجزائر والكويت وغيرهما، وما تجربة الجزائر المرة منا ببعيد، وكم سفكت فيها من دماء، ومزقت فيها من أشلاء، وغدر أصحاب السياسة بالإسلاميين بمكرهم.

وها نحن نرى أن دخول الإسلاميين إلى الدستورية، والمجالس البرلمانية، ما أفلح أن ينتج للأمة دستورًا إسلاميًا، ولو في جملته، فهل حقًا هذه مشاركة سياسية للتغيير والإصلاح!!

* * *

* الطريق الصحيح إلى التمكين:

إن الذين أقاموا الأحزاب - مع حفظ مكانتهم وقدرهم -، ليسوا بأحرص على الدين وإقامته من غيرهم، ولكل مجتهد نصيب، ونحن نؤمن أن الحق واحد لا يتعدد، لكن يتعدد الاجتهاد في إصابة الحق وتحقيق مناطه، وكون اجتهادهم أخذهم إلى تكوين مثل هذا الحزب الجديد، فليس معنى هذا أنهم أدركوا مصالح الأمة العظمى، وعرفوا بنيات الطريق، فزاحموا أهل الباطل في طرقاتهم.

إنما المصلحة العليا للأمة تتمثل في تحقيق مناط العبودية لله والطاعة لرسوله – صلى الله عليه وسلم -، بالسمع والطاعة، والاعتصام بمنهج إقامة التمكين للطائفة المؤمنة في الأرض، وذلك بتحقيق مناط التمكين الحق، المذكور في كتاب الله تعالى في قوله: ((قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ

تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ * وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)) [سورة النور: ٥٤-٥٦].

فدلت الآيات الكريمة على أن تحقيق التمكين الموعود إنما هو بتحقيق الإيمان والتوحيد الخالص، الصافي من كل شرك في العبودية مع الله تعالى، من الأنداد والأضداد.

وكذلك تحقيق الطاعة المطلقة لله ورسوله في كل كبير وصغير من شؤوننا، وعدم الإعراض والتولي، وأيضًا تحقيق العبودية بإقامة الصلاة والعبادة، وإيتاء الزكاة والصدقة.

وأيضًا بتحقيق العمل الصالح النافع للأمة والجماهير الغفيرة المحتاجة، من عمل الخيرات، وإخراج الزكوات والصدقات، وقيام الجمعيات الخيرة والخيرية في الأحياء والمساجد، لنفع الفقراء والمساكين وذوي الحاجات والأمراض.

هذا مناط التمكين، وليس مناطه مزاحمة أهل البطل في وسائلهم وغاياتهم، وأن يتحول المسار إلى سياسة الحكم بدلًا من سياسة الدين وشريعته.

ومما ساهم في قيام هذه الأحزاب، دعاة الباطل أنفسهم، ليستطيعوا بذلك جذب الاتجاهات الإسلامية إلى مستنقع السياسة الماكرة، وتقديم صورًا من التنازلات واحدة تلو الأخرى، وهم يظنون أنهم إلى الإسلام قادمون.

إن كل محاولة للتمكين في ظل الواقع المعاصر اليوم وما يحمله من عداء ومكائد وتفرق، لن تصل إلى كمال مرادها، وقوة تمكينها لهذا الدين، إلا إذا سارت خلف هذا الركب الإيماني الرباني، وتلمست آثارهم، وحثت الخطى خلفهم، ولا يعني هذا مجرد

التقليد الأعمى الذي لا يجاري التوازن بين ثوابت الشريعة وبين متطلبات الواقع المعاصر وما استحدث فيه كما تقول المدارس التغريبية والمدرسة العقلانية.

لقد رأينا اليوم بعد معرفتنا لواقعنا المعاصر الأليم، أن كثيراً هم من يقولون ويبرهنون لنا أنهم سائرون خلف طريق السلف والصحابة والتابعين، ولكنهم حقيقة الأمر خالفوا طريقهم، وسلكوا مسالك للدعوة والتمكين لا تمكنهم من إثبات هذه الأقوال والدعاوى، فوقعوا في مسالك متناقضة؛ من الجمع غير المتوافق بين مذهب السلف والخلف، وبين الصوفية والسلفية وربما العلمانية من باب حرية العقيدة، والوطن يسع الجميع والكل، وخلطوا كثيراً بين السنن والبدع التي إذا تجمعت أخرجت أصلاً كلياً كبيراً، يدخل هذا المسلك الدعوي في مزالق الانحراف البعيد عن منهج أهل السنة والجماعة.

وإن الواجب الملزم يفرض على كل الدعاة إلى الله تعالى وإلى شريعة الإسلام، أن يلزموا ما كان عليه السابقون الأولون من الصحابة والتابعين من مسائل الاعتقاد والمنهج والعبادة والسلوك في شتى شؤون الحياة الإسلامية كلها، لأن اتباعهم فيه السعادة والهدى، وفيه العز والسيادة والتمكين.

فهم مكنوا في الأرض بهذا المنهج، وحكموا العالم وفتحوا البلاد، ودونوا الدواوين، واستخدموا العمال، وبنوا الحضارة في كل ميادين الحياة والعلوم، في حين أن أوروبا وغيرها كانت تعج في ظلمات الكفر والشرك من جانب، وظلمات التخلف المدني والإنساني من جانب آخر، فمن الظلم إذاً أن يوصم أصحاب هذا المنهج بأنهم لا يحسنون قيادة العالم ولا فقه الواقع، ولا يفقهون من شؤون الحياة والاقتصاد إلا ما يفقه العوام.

وإن المنهج السلفي طريق للتمكين الإسلامي، لأنه منهج رباني فريد، ومنظومة شاملة كاملة في جميع الحياة البشرية عقيدة، وعبادة، وأخلاقاً، ونظماً: اقتصادية، وسياسية،

واجتماعية، وثقافية، إنه منهج شامل لأنه من عند الله وحده: "ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً".

نعم، قد يقع الخطأ والخلل في حملته لأنهم بشر، لكنه يظل المنهج الرباني المعصوم، الذي يجمع بين الأصالة والثوابت، وبين المتغيرات والمستحدثات وفق منهج الله وشريعته.

ولقد جربت الأمة كثيرًا لعبة السياسة بين القط والفأر فلم تأتي بجديد يذكر، ولا بواقع يسر ويغير، ولا تزال الأيام حبلى بعجائب أهل التلون والسياسة ساعة بعد ساعة، والله الهادي إلى سواء السبيل.

* * *

* تنبيهات مهمة:

وهنا لا يفوتنا أن نشير فيما ذكرنا إلى عدة أمور:

الأمر الأول: لا ينبغي أن نفهم منع قيام الأحزاب والعصبية لها ضمن الأفق الضيق للتصور، فقد نجد البعض يقول: وما الفارق بين قول العلمانيين (لا سياسة في الدين ولا دين في السياسة)، وبين قولكم (لا يجوز أن نخلط الدين بالسياسة)؟

والجواب: أن هناك فارق شاسع بينهما، فقول العلمانيين هو في أساسه ومصطلحه يعني: فصل الدين عن الحياة جملة وتفصيلًا، فلا دين يحكم الحياة عقيدة وتشريعًا ومعاملة.

بينما القول بعدم خلط الدين في هذه المرحلة بالسياسة لدى الجماعات والاتجاهات الدعوية المعاصرة يعني: أن السياسة القائمة والأحزاب هي مخالفة في جملتها لمنهج السياسة الشرعية في الدعوة والعقيدة والتشريع والتطبيق.

ومن هنا فخلط السياسة المعاصرة بالدين، وكونها هي الطريق الذي لا بد للاتجاهات الدعوية المعاصرة من سلوكه خطأ ولا ريب، لأنه طريق مخالف ومغاير للتمكين ونظام

الحكم والشورى في الشريعة الإسلامية، ولأنه يؤدي لضعف الدعوة وشبابها بالتفرق والتشرذم البغيض.

الأمر الثاني: ولا ينبغي أيضًا أن يفهم بعض شباب الدعوة وأتباعها؛ أن القائلين بجواز الأحزاب الإسلامية مواجهة للتيارات العلمانية والليبرالية، وأن ننازعهم سلطانهم بوسائلهم، وأن الحرب خدعة، وأن يرتكب الضرر الأقل لدفع الضرر الأعلى، لا ينبغي أن يفهموا أن هذا يجيز لنا أن نخوض في أعراضهم، وأن نأكل لحومهم، ونستبيح حديث المجالس في الطعن والقدح في نواياهم، ورميهم بالألفاظ والتبديعات، وإن كانوا تلبسوا ببدعة من هذا، كلا، كلا، فلحوم العلماء مسمومة، وإن أخطأوا باجتهاد أو تأويل سائغ، فهذا أيضًا خلل في التصور.

إنما الواجب نصحهم بالتي أحسن، وإرشادهم بالحكمة البالغة للحق الذي نعتقده، وأن نبين الخطأ في كلامهم ومنهجهم دون التعرض لأشخاصهم وذواتهم إذا تبين أنه مخالفة للحق، وأن نبين خطر التلبس بالبدعة والعمل بها والوقوع فيها، فالعبرة في بيان الخطأ بدليله، وليس في تجريح الناس وتشقيق الصدور والنوايا، فهذا مرده إلى الله وحده، وذلك حتى يفيئوا إلى الحق الذي كانوا عليه، ويلزموا جادة الحق والسبيل.

ولا ننسى أن لقولهم واجتهادهم نصيب من الحق أعني الاجتهاد نفسه، وقد أفتى به عدد من أهل العلم وسادته، من أمثال الشيخ العلامة ابن باز والعثيمين، وبعض الفتاوى للألباني واللجنة الدائمة.

الأمر الثالث: أنه لا يفهم أيضًا من جملة ما أوردناه التقاعس عن العمل للإسلام، والسعي للتمكين ودولة الحق والشريعة، بل إن العمل للإسلام فريضة ماضية، وإن ميدان العمل للإسلام رحب واسع، يسع كل عامل لهذا الدين.

فميدان الإصلاح والتربية والتزكية، لا يزال في حاجة إلى الدعاة والمصلحين، الذين يربون الشباب المسلم على التضحية والصبر، والبذل والعطاء، وعلى إعلاء الهمم لإنقاذ البشرية من الطامعين في قيادتها إلى آخر الزمان زعموا، ونحن أمة القيادة والعدل.

وميدان الدعوة لا يزال يحتاج إلى فرسان الدعوة والبلاغ للناس، بالحكمة والموعظة الحسنة، بالكلمة الطيبة، والخطبة المؤثرة، والتأليف النافع، والتوجيه الصادق، وتعليم القرآن والسنة والتاريخ الإسلامي المشرق، لطلائع الشباب المسلم وفتيانه وفتياته.

وميدان العمل الصالح، وإقامة المشاريع الخيرية للمجتمع المسلم، لإغناء الفقراء والمساكين، وذوي الحاجات والأمراض، وإنشاء دور العناية والمستشفيات، وإنشاء المصانع والمشاريع الصغيرة والكبيرة للشباب والعمال، ميدان كبير.

إن أمامنا مشروع إنقاذ البشرية عامة، وأمة الإسلام خاصة، وقيادة العالم من جديد، وإنه لمشروع جليل القدر أن يحفل به العلماء والدعاة والمصلحون.

لأن زمام القيادة والتبعية العمياء لدول الغرب والشرق، أوشك بالكسر والفشل، وولى الدبر، لأنها حضارات مادية عمياء، لا تقدس سوى الدولار، ولا تشبع إلا الشهوات الرخيصة، ولا تعرف للأخلاق من الإيمان والعدل والحياء سبيلًا.

وصدق الله تعالى في كتابه: ((وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ * إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ * وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ * قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)) [الأنبياء: ١٠٥-١٠٨].

* * *

الدستور المصري بين المنهج الرباني والاتجاه الإسلامي

* الأمل المفقود:

لقد كان المأمول بعد وصول جمع من الإخوة الفضلاء لمجلسي الشعب والشورى والجمعية التأسيسية - من المحسوبين على التيار الإسلامي من أبناء "حزب النور السلفي" وغيره من أبناء "الجماعة الإسلامية" و"الإخوان المسلمين" - أن يخرجوا لأمتهم وشعوبهم "الدستور التقريبي" للصورة الإسلامية الصحيحة في منهاج الحياة وسياستها وجميع شؤونها على الأقل والأضعف من جهدهم، حتى يتسنى لنا أن نقول أنه دستور فيه رائحة الإسلام أو القرب من نظامه الكامل.

إلا أنهم خذلوا القلوب والأبصار التي طالما اشتاقت لنسائم الحرية والبناء، وخذلوا جمع المسلمين في الصورة النهائية "لمسودة الدستور العلماني"، ولم نجد شيئًا يذكر يشار إليه بالبنان أنه يعبر عن الإسلام وحقائقه، أو يهيئ الطريق إليه.

إن الناظر للدستور الشيعي الرافضي لثورة إيران السابقة، لعله يرى أن هذه الدولة الرافضية جهرت بذكر الإسلام وتحكيم شريعته ظاهرًا، حتى من باب ذر الرماد في العيون، ومن ذلك:

"المادة الأولى:

نظام الحكم في إيران هو الجمهورية الإسلامية التي صوّت عليها الشعب الإيراني بالإيجاب بأكثرية ٢ ,٩٨٪ ممن كان لهم الحق في التصويت، خلال الاستفتاء العام الذي جرى في العاشر والحادي عشر من فروردين سنة ألف وثلاثمائة وثمان وخمسين هجرية

شمسية، الموافق للأول والثاني من جمادى الأولى سنة ألف وثلاثمائة وتسع وتسعين هجرية قمرية.

ولقد شارك الشعب في هذا الاستفتاء العام انطلاقًا من إيمانه الأصيل بحكومة القرآن العادلة الحقة، وذلك بعد ثورته الإسلامية المظفرة بقيادة المرجع الديني الكبير "آية الله العظمى الإمام الخميني".

المادة الثانية:

يقوم نظام الجمهورية الإسلامية على أساس:

الإيمان بالله الأحد (لا إله إلا الله) وتفرده بالحاكمية والتشريع، ولزوم التسليم لأمره.

الإيمان بالوحي الإلهي ودوره الأساس في بيان القوانين.

الإيمان بالمعاد ودورة الخلاق في مسيرة الإنسان التكاملية نحو الله.

الإيمان بعدل الله في الخلق والتشريع.

الإيمان بالإمامة والقيادة المستمرة، ودورها الأساس في استمرار الثورة التي أحدثها الإسلام...إلخ".

فهل يعقل أن يكتب هذه المواد الرافضة، ولا يكتب مثلها أبناء التيار السُني!، إن أبناء التيار الإسلامي خرجوا من التأسيسية والمجالس يضربون كفًا بكف، ويجرون خلفهم خفي حنين، قائلين "لقد نجحنا في المحافظة على المادة الثانية من الدستور، ونجحنا لإضافة مادة تفسيرية لها"، وأي خيبة بعد هذا لجهد طويل، وجهاد مرير للتيار الإسلامي وشبابه طيلة هذه السنين العجاف.

حقًا إنها الفاجعة العظمى أن يتمخض "الجمل" ثم يلد لنا "فأرًا"، زاعمًا أن الواقع المعاصر، والأجواء الدولية، والمتغيرات الإقليمية لا تسمح بتطبيق أي نظام إسلامي راهن، لا دستورًا ولا واقعًا.

لقد حاول هؤلاء المهزومين دستوريًا، أن يبرروا ويمرروا للأمة أسباب النكوص عن "تطبيق شريعة الإسلام" بمبررات أوهى من خيوط العنكبوت.

ونحن نقول: وماذا لو طبقنا الإسلام حقًا في دولتنا، وبذلنا في سبيله الغالي والنفيس، وماذا لو بعد ذلك حاربنا الغرب والشرق من دول الكفر، إننا عندئذٍ نكون قد أعذرنا إلى ربنا، وقدمنا ما في استطاعتنا حقًا، فإما النصر المبين، وإمام الشهادة في سبيل الله إلى جنات النعيم، وكثير هم الذين تشتاق أنفسهم للجهاد في سبيل الله ونصرة شرعته ودينه، أما أن نتخاذل عن الإسلام وتطبيق شرائعه، وأما أن نتلون تلون الأفاعي فهذا لا يقبل بحال.

ولا زالت تلك المبررات الواهية تكرر من جيل إلى جيل، ولو بقيت الأمة هكذا ألف عام فلن تطبق الإسلام أبدًا، لِمَ؟!

لأن الظروف والمتغيرات لن تسمح أيضًا يومها بتطبيق الإسلام زعموا.

إن الذين قاموا في بني إسرائيل يأمرونهم بالمعروف، وينهونهم عن المنكر قدموا معذرتهم حقًا "وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ" [الأعراف:١٦٤].

أما التيار الإسلامي اليوم بعد جهد هذه السنين الطوال، فلم يقدم ما يعذر به حقًا، لكنه قدم أدلة تنازله وتخاذله عن كثير من مسلماته السابقة، من تحريم الديمقراطية والانتخابات البرلمانية وغيرها.

* * *

* التنازل المرفوض:

لأول مرة نرى الصليب يرفع علنًا في بلاد المسلمين وفي شوارعهم برضًا من أنفسهم وقالوا "المصحف والصليب يد واحدة"، ولأول مرة يتجرأ النصارى على ذلك بل ويعلنون عن بعض شعائرهم وصلواتهم، فأي خذلان بعد هذا! وأي مصلحة ترجى بعد رفع الصليب مع المصحف، وهدم شعائر الإسلام!؟.

وأي مصلحة ترجى من وراء خروج ذوات الخدور من البيوت ليبتن بالشوارع والمظاهرات، وليراهن الغادي والعادي! فضلًا عن كون كثير منهن متبرجات كاسيات عاريات، مائلات مميلات، فضلًا عن التحرش الجنسي المفضوح، وذهاب الحياء والعفة والحشمة، فأي إسلام ينصرون؟! وأي حياء يريدون؟!

فضلًا عن وجود بعض الغناء الوطني والرقص والسمر من أجل "الحرية والكرامة"، ووجود بعض المغنين والمغنيات ربما هنا وهنالك، وترفع المرأة صوتها بحضرة الرجال، ولا خجل!

وأي مصلحة أن تنصب الخيام في شوارع المسلمين، لبعض الناس، ويغلب على أكثرهم الفساد وفعل الفاحشة، وشرب المخدرات والخمر؟! ولا يتكلم أحد ولا يغار على انتهاك حرمات الله وشرائعه، وترى المنكرات بالأعين، ولكن الغيرة ماتت إلا ما رحم الله.

وأي مصلحة تكون بعد سفك دماء الشباب هنا وهنالك لصالح جماعة أو اتجاه سياسي أو حزبي ولو كان إسلاميًا؟!

وأي مصلحة تكون بعد أن يسمى كل قتيل في تلك المعمعات والهرج بـ"الشهيد"، فالذي يقتل من أجل رغيف العيش شهيد، والذي يقتل من أجل "عيش، حرية" شهيد، ولو كان نصرانيًا، والذي يقتل من أجل مصلحة جماعته وحزبه شهيد، والذي يقتل من

أجل الدين شهيد، وهكذا صار كل هؤلاء شهداء، وصدقوا إنهم شهداء على أنفسهم وأعمالهم.

نحن لا ننكر أن منهم من ظلم حقًا، ومنهم من قُتِل ظلمًا، لكن هل كل مقتول شهيد؟! أي عبث هذا بمصطلحات الشريعة.

أما كفانا من قبل أن نسمع بشهيد "الفن" و"المسرح" و"الكرة" و"الحرية"، حتى نسمع اليوم بشهداء من لون آخر، أهذا حقًا هو طريق الإسلام، أم ماذا يكون!

وأي مصلحة تكون من وراء الشعارات الشركية الواضحة من "الوطنية والمواطنة، والحرية، والديمقراطية، والشعب مصدر السلطات"؟! والله تعالى يقول في كتابه: "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا" [النساء: ٦٠].

لقد كان كثير من أبناء الاتجاه الإسلامي ينهون عن الخوض في طريق أهل الباطل من الديمقراطيين والعلمانيين، وكذلك دخول المجالس البرلمانية والتشريعية وغيرها، وكانوا يعتقدون في إخوانهم الذين خاضوا ذلك الطريق، أنهم يضيعون أوقاتهم في لعبة سياسية محسومة الأمر، وها نحن نرى بعد تلك الثورات تقلبات مختلفة المشارب عند الكثير، أجازت لهم ما كان ممنوعًا، وبررت ما كان محرمًا، وظنت أنها على شيء من الحق والمجاهدة للباطل في ميدانه وبسلاحه، فعلى أي أساس كانوا يعيبون غيرهم قبل الثورات على صنيعهم!.

وإن البعض ليتصور له أن التصويت بـ"نعم" هو انتصار للإسلام ومبادئه، ومحاربة للباطل والعلمانية، والحق المر أن الأمر ليس كذلك، وإن كان فيه بعض المنافع الظاهرة.

نعم نرى العلمانيين والليبراليين حشدوا وجمعوا، ونعم يجب أن نخذلهم لأنهم دعاة الزور والباطل، كما أنهم يتحاكمون إلى طواغيت الغرب والشرق الكافر، لكن في ذات الوقت لا يعني أن نترك نحن مبادئنا ومنهاجنا لأجل ذلك، كما أننا في ذات الوقت لا نسلم إخواننا للباطل وأهله جملة.

* * *

* الطريق الموعود:

إن تطبيق "المنهج الرباني" ليس الطريق إليه كما أكدنا مرارًا "الدستور العلماني" ولا "الانتخابات الديمقراطية"، إنما الطريق إليه، إعلاء كلمة التوحيد والعقيدة، وتحقيق المفاصلة مع ميدان وخندق الكفر والنفاق في جانبيه، وتحقيق الولاء والبراء الشرعي في ذلك، ومتابعة منهاج النبوة المحمدي قولًا وفهمًا واتباعًا، ثم توحيد الصف المسلم والكلمة.

وأيقنوا أمة الإسلام أن خلافة الإسلام لن تكون أبدًا على منهاج "جماعة وحزب .. كذا أو كذا أو كذا.."، إنما هي على "منهاج النبوة" فحسب، هكذا نطق بها صاحب المنهاج الرباني "خلافة على منهاج النبوة"، فهل من مستبصر لطريق النبوة، وهل من متبع.

وأخيرًا: فلا يظنن ظان عن غير قصد أنما تلك الكلمات تخذيل وتهوين للاتجاه الإسلامي، أو أنها وقوف غير مقصود مع التيار العلماني البغيض، كلا كلا، ونعوذ بالله ربنا من تخذيل الصادقين، أو مساندة الفاسقين والمنافقين.

إنما نحن نضع الاتجاه الإسلامي برمته على معالم الطريق، حتى لا يضل عنها مرة أخرى، وإنما نحن جميعًا في خندق واحد، ومن حقهم أن نناصحهم بالتي هي أحسن، وأن نبين السبيل القويم، بعيدًا عن سبيل المجرمين، وإنما نحن نريد الخير والهدى والحق لأمتنا،

ولا خير ولا هدى ولا سعادة إلا بمتابعة منهاج النبي – صلى الله عليه وسلم – وسلفه الصالح، وألا نحيد عن طريقهم قيد أنملة، وننحرف بعيدًا بعيدًا زعمًا منا أننا على سبيل وهدى، علينا أن نقول ما قاله لنا ربنا: "مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ" [الشورى:٢٠].

* * *

أيتها الشعوب الثائرة .. الطريق من هنا

* نصر وتمكين وقيادة:

أيتها الشعوب المسلمة المظلومة الثائرة.. إليكم رسالتي من أعماق الروح والفكر، ومن أوجاع الواقع وآلامه القاتمة، ومن أرض الميدان الثائر، ومن ميدان الحق الأبلج أقول لكم، فاسمعوا واعوا رحمكم الله يا أمة الإسلام.

يا شعوب المسلمين والعرب:

إن أعظم نعمة من الله بها عليكم، ووهبها لكم، نعمة الإيمان والإسلام، نعمة إيمانكم بربكم ونبيكم وقرآنكم، كما قال تعالى لكم: "يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ" [الحجرات:١٧].

وبعد الإسلام والإيمان وهبكم نعمة عظيمة المقام، نعمة الإخوة والمحبة والوئام، لأنكم كنتم قبل بعثة نبيكم – صلى الله عليه وسلم متفرقين متحاربين متباغضين، فوحدكم، وجمع بآصرة العقيدة بين روابطكم، وألف بين قلوبكم، وآخى بين قبائلكم وأنفسكم، ونزع البغضاء من قلوبكم، كما قال تعالى: "وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ" [آل عمران: ١٠٣].

ثم وهبكم النصرة والتمكين، والسيادة والقيادة بقيام دولة الإسلام الأولى في المدينة النبوية، ثم بالخلافة الراشدة الهادية خلافة أبي وعمر وعثمان وعلي – رضي الله عنهم –، ثم

من تبعهم على نهجهم من الأمراء والملوك، قائمين بالإسلام، حاكمين بشريعته، فاتحين للدول والأمم، قائمين بالعلم والبناء والحضارة طيلة هذه القرون الماضية.

وكان حالكم حال القائل:

من ذا الذي رفع السيوف ليرفع ا ... سمك فوق هامات النجوم منارا
كنا جبالا في الجبال وربما ... سرنا على موج البحار بحارا
بمعابد الإفرنج كان أذاننا ... قبل الكتائب يفتح الأمصارا
لم تنس إفريقيا ولا صحراؤها ... سجداتنا والأرض تقذف نارا
وكأن ظل السيف ظل حديقة ... خضراء تنبت حولها الأزهارا
كنا نقدم للسيوف صدورنا ... لم نخش يوما غاشما جبارا
كنا نرى الأصنام من ذهب ... فنهدمها ونهدم فوقها الكفارا

* * *

* ابتلاءات وتمحيص:

لكنكم أمة الإسلام، وشعوب العرب؛ ما لبثتم بعد عزكم وسيادتكم وقيادتكم للعالم بالحق والعدل والسلام من ورائكم، ما لبثتم أن ركنتم إلى زخارف الحياة الدنيا وزينتها، وركنتم إلى تجارتكم وزراعتكم، وشغلتكم الأهواء بسفاسف الأمور عما كنتم عليه قرونًا جليلة، فتركتم شرائع الإسلام وعراه تنفصم، وتركتم بلادكم وقلوبكم تختلف وتنقسم، وتركتم الجهاد في سبيل الله مصدر عزكم، وباب رزقكم ومغنمكم، كما جاء في الحديث : "... وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذل و الصغار على من خالف أمري و من تشبه بقوم فهو منهم".

فما لبثتم أن سُلط عليكم عباد الصليب، ومغول الضلال، وتتار الجهالة والكفر، فبعث الله إليكم أحفاد عمر الفاروق، وخالد المسلول، وعبيدة الفاتح، وابن زياد الناصر، فجاءكم الله بالنصر المبين على ثلة الصليبين والتتار، بالقائد المغوار، صاحب العقل الرزين، والصدق المبين، الفاتح الناصر الأيوبي صلاح الدين، ثم بسيف الدين قطز، الذي نصر المسلمين وأعز، بعزة الله لكم.

* * *

* انحراف عن المنهج وتآمر عالمي:

ثم عدتم إلى كرتكم من الخور والضعف، والفرقة والاختلاف، وحب الدنيا وكراهية الموت، وشغلتم بزهرة الدنيا ومتاعها الرخيص، وتخاذلتم عن الجهاد في سبيل الله ربكم، وفي سبيل إعلاء دينة وكلمته، فجاءكم الاستعمار "الاستخراب" الغربي والأوربي من جديد، وسُلط عليكم بسيف من حديد، مع كثرتكم وعددكم، لأنكم كما جاء في الحديث من كلامكم نبيكم – صلى الله عليه وسلم -: "يا معشر المهاجرين خصال خمس إن ابتليتم بهن ونزلن بكم أعوذ بالله أن تدركوهن، لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الأوجاع التي لم تكن في أسلافهم، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولا نقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سُلِّط عليهم عدو من غيرهم فيأخذ بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله إلا جعل بأسهم بينهم".

ولأنكم أيضًا صرتم كالغثاء الهباء، ففي الحديث: "يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها. فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير؛ ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن. فقال قائل: يا رسول الله ! وما الوهن ؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت".

فاحتل "الاستخراب" بلادكم، وأذل شعوبكم، وأخذ بعض ما في أيديكم، وسامكم سوء العذاب، ونهب الثروات، وأنشأ الثورات، واختلق زعمًا حقوق الشعوب بالمظاهرات، ثم قسّم العدو الكافر بلادكم وأرضكم، وأزال من قلوبكم معالم الإيمان - إلا ما رحم رب السماء - فاتبعتموه، وفرق كثرتكم، ورسم لجغرافية أرضكم معالمًا وحدودًا، ووضع بينكم قوالب وسدودًا، وتآمر على إسقاط خلافتكم الإسلامية، وتفريق جمعكم ودولتكم الواحدة، وتلك من مكائد الأعداء ودسائسه وهو القائل حكمة الشيطان: "فرق تسد"، أي تصبح السيد المالك للأمر.

ثم جاء التآمر العالمي الصهيوني اليهودي، والغربي والأوربي، بقيادة "تيودور هرتزل" مؤسس الصهيونية العالمية، وبعض دول الغرب، بتسليم اليهود قطعة من أرضكم وميراثكم، ثم ليهبه بعد ذلك قيادة العالم كله من النيل إلى الفرات، ويملكه البترول والاقتصاد، والسياسة والثروات، ثم ينعم اليهود في ظلال المسيح زعموا ألف سنة قبل المعاد، ثم لهم في الآخرة جنة الميعاد.

ثم تسلط عليكم اليهود في بلادكم، ووضعوا الخطط المحبوكة، والمؤامرة الفاضحة، والتي جمعت فيما يسمى "برتوكولات حكماء صهيون" وذلك لغزو العالم الإسلامي واحتلاله، ومن ثم تقسيمه وتفتيته إلى دويلات صغيرة، تكون خادمة ذليلة للهيكل اليهودي، والعلو الصهيوني في العالم.

وقد وقع الكثير والكثير لكم يا شعوب الإسلام مما تآمر به أعدائكم عليكم، فلقد سلموا أرض فلسطين بثمن بخس دراهم معدودة، وسلمت فلسطين لليهود على دمائكم وأشلائكم، وظلت سنين عقيمة تحت الانتداب البريطاني الكافر، ليتم تسليمها للصهاينة بعد استكمال قوتهم وسلاحهم ومكرهم عليكم.

ثم تآمر الغرب الصليبي الكافر، مع العدو الصهيوني الماكر، لإحكام قبضتهم عليكم بقوة واستعلاء، وإذلالكم لهم في الليل والنهار، ليأمنوا بذلك بقاء دولتهم، وقوة استعلائهم فيكم، فسلطوا عليكم "تلاميذ الاستخراب الكافر الحكام العرب"، ليكون حكامكم منكم، وبأسمائكم، ومن جلدتكم، لكن قلوبهم قلوب الشياطين والذئاب.

نعم قلوبهم هكذا، ليتمكنوا من السيطرة على أفكاركم، وليحكموا المؤامرة عليكم، وليستطعوا تخريب أخلاقكم وشبابكم، وسلب قيمكم وما بقي من مروءتكم وشعائر إسلامكم، وليتمكنوا من إرهابكم بالقبضة الحديدية القاهرة، من الظلم والسجن والتعذيب والقتل، لكل من تسول له نفسه الخروج على أسياده، أو أن يتفوه بكلمة حق عند سلطان جائر.

ثم تآمر اليهود على الاستفادة من تلك الخلافات الساحقة بينكم وبين حكامكم، بسبب ظلمهم لكم، وهضمهم لحقوقكم، وتآمرهم على إفساد قوانين البلاد والعباد، ومن ثم لتثور شعوبكم وشبابكم ونسائكم على أولئك الحكام من جديد، الذين هم حكامكم ومن بلادكم، وليسوا غرباء على أرضكم، نعم لتثوروا من جديد، لم؟

لتطالبوا في هذه "الثورة السلمية" بحقوقكم المسلوبة، وأموالكم المنهوبة، وثرواتكم الضائعة، وحقوق أولادكم وأجيالكم في الحياة السعيدة الكريمة، وحُق لكم ذلك ولا ريب، فتلك أعظم حقوق الشعب على حاكمه ووالیه.

ولا أعني بكلامي أن كل شيء هنا أصله التآمر والعبث الكافر أو غيره - مع أنه أصل فيها كبير -، حتى لا يحمل الكلام على إطلاقه، لكن أمورًا أخرى هناك عظيمة وقعت لشعوب الإسلام والعرب منها:

الظلم والقهر المنظم:

فتلك عاقبةُ الظُّلم والجُور، وتنحية الشَّريعة الإسلامية عن شؤونِ الحياة كلِّها إلاَّ النَّزْر اليسير، وأَكْلِ أقوات الشُّعوب وثرواتِها، والتميُّع للغرب الكافر، والتزلُّفِ له، ونَهْبِهم وإفسادِهم في بلادهم، والتصدِّي للدعوة الإسلامية الصادقة ودُعاتِها وشَبابِها، ورمْيِهم بالتخلُّف والرَّجعية والجهل، وتعذيبهم وإرهاقهم في السُّجون والمعتقلات، والحَجْر على الشُّيوخ والعلماء، وتَكْميم أفواه الصَّادقين والمصلحين.

إن الشُّعوب المسلمة قُهِرت حقًّا، ومُنِعت من حُرِّيتها الشرعيَّة، وضاعت أموالُها وثرواتُها بأيدي العابثين بِها، ولا بُدَّ يومًا أن يعود الحُقُّ لأهله، وأن يُقاد للمظلوم من الظَّالِمِ كما جاء الحديث النبويُّ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنَّ رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - قال: ((لَتُؤَدُّنَّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتَّى يُقاد للشاة الجُلحاء من الشاة القَرْناء))؛ رواه مسلم.

ومنها العلمانية الحاكمة والقوانين الوضعية:

فالمتأمِّل بنظرةٍ ثاقبة إلى تأريخ الواقع المعاصر في العالَمِ الإسلاميِّ والعربي، يرى بِوُضوحٍ أنَّ جلَّ "الحكومات" و"الأنظمة" و"الأحزاب" التي تَحْكم شعوبَه إنَّما هي أنظمة مُوالِيَةٌ للغَرْب والعلمانيَّة، وهي تستمدُّ قوَّتَها في إنشاء القوانين والدساتير - وكما يقولون "التشريعيَّة"، أو "الشرعية" - من أصولِ العلمانيَّة الغربية، وليس من منهج الإسلام وشريعته.

وإذا نظَرْنا إلى "العلمانيَّة" على حقيقتها، نَجِد أنَّها مذهبٌ غرْبِيٌّ طارئٌ على العالَمِ الغرْبِي، مذهبٌ خارج على منهج الكنَسِيَّة والعبادة، منهجٌ لا يَدِين لله تعالى بِسُلطان على البشريَّة، ولا يُعْطي لله حقًّا أن يُمدَّ لَها منهجًا ربَّانيًّا يُضِيء لَها الطريق في هذه الحياة الدُّنيا، مذهبٌ لا يُعبِّد النَّاس لَرِبِّهم وخالقِهم، ولا يجعل لله تعالى دِينًا يَحْكمهم ويهديهم.

إنَّ العلمانية تَعْني: فَصْل الدِّين عن الحياة، فَصْلَ المخلوق عن منهج خالقه ومعبوده، فلا دَخْلَ للدِّين في شؤُون الإنسان، لا في مأكله وملبسه، ولا في اقتصادِه وحُكْمِه وسياسته، فلا يقول الدِّين للإنسان: هذا حلالٌ، وهذا حرام، ولا يقول أيضًا: هذا شِرْك، وهذا إيمان، إنَّ العلمانية في إيجاز هي: اللاَّ دين، وكما قال قائلهم: "دَعْ ما لِقَيصر لقيصر، وما للهِ لله".

لكن العدو الماكر استطاع وبمكر ودهاء أن يقتنص الفرصة الذهبية فيما بينكم وبين حكامكم " تلاميذ الغرب" من بُعد وجفاء، ليخلق بذلك واقعًا مرًا جديدًا بما يُسمى عندهم "الفوضى الخلاقة"، ولا عجب فكل مصيبة عند العرب والمسلمين، فرصة سانحة للغرب والعدو الصهيوني للنيل منكم، والوقيعة بينكم.

ولعلي أخبركم بهذا في برتوكولات جبناء بني صهيون، فمن ذلك:

ما جاء في البرتوكول الأول: "يكفي أن يعطي الشعب الحكم الذاتي فترة وجيزة، لكي يصير هذا الشعب رعايا بلا تمييز، ومنذ تلك اللحظة تبدأ المنازعات والاختلافات التي سرعان ما تتفاقم، فتصير معارك اجتماعية، وتندلع النيران في الدول ويزول أثرها كل الزوال. وسواء أنهكت الدول الهزاهز الداخلية أم أسلمتها الحروب الأهلية إلى عدو خارجي، فإنها في كلتا الحالتين تعد قد خربت نهائياً كل الخراب وستقع في قبضتنا. وأن الاستبداد المالي – والمال كله في أيدينا – سيمد إلى الدولة عوداً لا مفر لها من التعلق به، لأنها – إذا لم تفعل ذلك – ستغرق في اللجة لا محالة".

وجاء في البرتوكول الخامس: "إننا نقرأ في شريعة الأنبياء أننا مختارون من الله لنحكم الأرض، وقد منحنا الله العبقرية، كي نكون قادرين على القيام بهذا العمل. إن كان في معسكر أعدائنا عبقري فقد يحاربنا، ولكن القادم الجديد لن يكن كفؤاً لأيد عريقة كأيدينا".

*** أيتها الشعوب الثائرة .. الطريق من هنا:**

أما بعد أيتها الشعوب المسلمة الثائرة: ها أنتم علمتم حقائق التاريخ كما هي، ولا يماري فيها إلا أحد رجلين، إما جاهل، أو صاحب هوًى في نفسه، لكنها حقائق الواقع المعاصر، والتاريخ يعيد نفسه، لمن كان له نظر واعتبار.

يا شعوب الإسلام:

لقد خرجتكم في "ثورتكم" للمطالبة ببعض حقوقكم وهذا حقكم على حكامكم، خرجتم للمطالبة بـ"الوظيفة الكافية، والحياة الكريمة، والمرتب الوفير، والحرية التعددية، ووقف الظلم والاستعباد، والحجر والقهر"، ولا يشك عاقل أنها مطالب عادلة، وحقوق لكم كاملة، كما طالبتم باستبدال "النظام الحاكم" بنظام آخر "بديل عنه".

ولكن يا شعوب الإسلام والعرب، في غفلة منكم، وفي تآمر من فريق آخر بينكم لا يريد الخير والسعادة لكم أبدًا، شغلتكم مطالبتكم بحقوقكم، عما هو أولى وأهم، وأكبر وأعظم، نعم أعظم من مطالبكم المشروعة، وحقوقكم الممنوعة.

*** حكم الإسلام والشريعة سعادتكم:**

لقد كان الأولى بكم يا شعوب الإسلام والعرب، أن تطالبوا بأسمى الغايات، وأعظم المقاصد، تطالبوا بـ"تطبيق الشريعة الإسلامية" وتجعلوها الحاكم والمنهاج الأعظم لمقوماتكم، والمصدر الأوحد الهادي لكم في السياسة والعلم والاقتصاد والثروات، وقد أنزل عليكم ربكم سبحانه آيات بينات زاهرات: "وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ * وَأَنِ

احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ * أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ" [المائدة: ٤٨-٥٠].

ولا خيار لكم بعد الإسلام وشرعته، بعد أن قال لكم ربكم سبحانه: "وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا" [الأحزاب:٣٦].

ولتعلموا أن "تطبيق الشريعة الإسلامية في كل شؤون حياتكم" فرض عليكم أولًا، لأنكم بالأصل أهل الإسلام، وطريق النهضة والسيادة والقيادة ثانيًا، ذلك أن أولئك الحكام "تلاميذ مدرسة الغرب" استطاعوا بمهارة فائقة بإعلامهم الماكر، وعملائهم المثقفين "التنويريين"، وصدهم الخبيث عن منهج الإسلام العظيم، أن يقنعوكم بأن سعادتكم وسيادتكم في المناهج الأرضية البشرية الهزيلة من "العلمانية، والاشتراكية، والديمقراطية" وغيرها، واستطاعوا أن يحرفوا صورة الإسلام الصحيحة في قلوبكم وعقولكم بمكر ودهاء، واستطاعوا أن يقولوا لكم إن شريعة الإسلام لن تطعمكم ولن تسقيكم، ولن توظفكم، ولن تخلق لكم فرص العمل الشريف، ولا الحياة الكريمة، واستخدم أولئك الحكام أبواقهم من الإعلام الساحر "أبو لمعة الفشار" ليدلكم على طريق السعادة الموهومة، ليس في ظل الإسلام، بل في ظل "العلمانية والديمقراطية" زعموا وكذبوا.

إذن عليكم أيتها الشعوب المسلمة الثائرة.. أن تعلموا أن سعادتكم في مطالبتكم بشرع الله تعالى وحده، وتطبيق أحكام الإسلام، وانظروا إلى أجدادكم وأسيادكم من الصحابة الكرام، والتابعين الفاتحين لهم بإحسان، وكيف أعزهم الله بالإسلام، ونصرهم

بشريعته، ففتحوا بلاد العالم شرقًا وغربًا، من المحيط إلى الخليج، وكانوا خير أمة أخرجت للناس.

إن السعادة والرفاهية والرغد ليست منكم ببعيد،وقد أكد الله ذلك لكم فقال تعالى: "مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ". [النحل:٩٦،٩٧]، ولا يمنع ذلك الزهد في الدنيا مع القدرة عليها.

لقد ظلت أمتنا قرونًا في ظلال الإسلام أمة العدل والسلام، وأمة العلم والحضارة، وأنتم الآن أقدر عليها بصدق إرادتكم، وهمة عزيمتكم بالعودة الجادة إلى منهج الإسلام والهداية، "فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى" [طه: ١٢٣].

*** خلافتكم قادمة فاستعدوا للقيادة:**

فيا شعوب الإسلام والعرب:

هيا إلى الإسلام من جديد، هبوا لا لإشباع البطون الخاوية فحسب، بل لإسعاد البشرية كلها بمنهج الله وشريعته، إن إسلامكم فيه كل مقومات سعادتكم ومطالبكم، ولن تجدوها إلا في ظلال الإسلام، فأيقنوا.

ولا تلتفوا يا شعوب الإسلام للماكرين والمنافقين، الذين يستبدلون "النظام الحاكم" بنظام "علماني آخر"، لن يجني أولئك من الحنظل إلا المر والهوان مرة أخرى، لأنهم لا يعتبروا بما جرى ولا بما وقع من أحداث القدر.

يا أمة الإسلام والعرب:

أشعلوا جذوة الإيمان المخدر في قلوبكم وجوارحكم، وأنيروها بنور العلم الشرعي، والاتباع المحمدي، وأقيموا دولة الإسلام في أخلاقكم وحياتكم، وأوقدوا عليها بنار الجهاد في سبيل الله، والعزم على النصر والتمكين، واستعينوا بتوحيدكم وعقيدتكم الصافية على منهج السلف الصالح قبلكم، واستعينوا بالصبر والعبادة، لأن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده.

وأيقنوا أنكم غالبون، وأنكم منتصرون، وأنكم ستقودون العالم من جديد، تحت راية "الخلافة الإسلامية" الموعودة من الله وحده، نعم الخلافة قادمة لكم، فتأهلوا وتأهبوا لتكونوا أهلًا لها، واستعدوا لتأخذوا مكانكم في قيادة أمم الأرض، بعد أن غفلتم عنها عدة قرون لبعدكم وضعفكم.

وقد ذكركم الله تعالى بعهده ووعده: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ" [المائدة: ٥٤-٥٦].

إنكم يا شعوب الإسلام تملكون أعظم مؤهلات عالمية لقيادية البشرية كلها، فأنتم معكم أعظم دين إلى قيام الساعة دين الإسلام الأغر، ومعكم أعظم موقع جغرافي بشري على سطح الأرض، ومعكم إيمانكم وعقيدتكم التي بها تنتصرون أبدًا، ومعكم الشباب الملتهب حماسة وفتوة وإيمانًا، وفوق كل ذلك معكم ربكم المالك القادر، الذي ينصر عباده وأولياءه أبدًا، "وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * وَأَقِيمُوا

الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ" [النور:٥٥-٥٧].

وقال نبيكم الكريم - صلى الله عليه وسلم - كما جاء عن ثوبانَ - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم -: "إنَّ الله زوى لِيَ الأرضَ، فرأيتُ مشارقها ومغاربَها، وإنَّ أُمَّتِي سيَبْلُغ مُلْكُها ما زَوى لي منها، وأُعطيت الكَنْزين الأحمر والأبيض، وإنِّي سأَلْت ربِّي لأُمَّتِي ألا يُهْلِكها بِسَنةٍ عامَّة، وألا يُسَلِّط عليهم عدوًّا من سوى أنفُسِهم، فيستبيحَ بَيْضتَهم، وإنَّ ربي قال: يا محمَّد، إنِّي إذا قضيتُ قضاءً فإنَّه لا يُرَدُّ، وإنِّي أعطيتك لأمَّتِك ألا أُهْلِكهم بسنةٍ عامَّة، وألا أُسَلِّط عليهم عدوًّا من سوى أنفسهم، يستبيح بيضتَهم، ولو اجتمع عليهم مَن بأقطارها" أو قال: من بَيْن أقطارها، "حتَّى يكون بعضُهم يهلك بعضًا، ويسبي بعضُهم بعضًا".

وعن معاوية بن صالح حدثني ضمرة أن ابن زغب الإيادي حدثه قال: نزل علي عبد الله بن حوالة الأزدي فقال: لي بعثنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لنغنم على أقدامنا فرجعنا فلم نغنم شيئا، وعرف الجهد في وجوهنا، فقام فينا فقال: اللهم لا تكلهم إلي فأضعف عنهم ولا تكلهم إلى أنفسهم فيعجزوا عنها ولا تكلهم إلى الناس فيستأثروا عليهم، ثم وضع يده على رأسي، أو قال على هامتي، ثم قال: "يا ابن حوالة إذا رأيت الخلافة قد نزلت أرض المقدسة، فقد دنت الزلازل والبلابل والأمور العظام، والساعة يومئذ أقرب من الناس من يدي هذه من رأسك". رواه أبو داود.

وفي الحديث كذلك: "لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال".

كما ينبغي أن نُدْرِك أنَّ الإسلام قادمٌ، ولا ريب في هذا، قادمٌ لأنَّه وعْدُ الله ورسولِه، وقادمٌ لأنَّه هو المنهج الإصلاحي الربانِيُّ الذي فيه كلُّ مقوِّمات السعادة والسِّيادة البشريَّة

لِهَذه الأُمَّة، وقادمٌ لأَنَّه الحقُّ الذي لا حقَّ بعده، وقادم لأنه منهجٌ منتصر، منهجٌ له الحُكم والسيادة مهما طال الزَّمان، واشتدَّت المِحَن، ورُصِدت العقَبات، منتصر لأَنَّه من عند الله، ومنتصر لأَنَّه منهج الله، ومنتصر لأَنَّه كلمة الله الَّتي هي العُلْيا أبدًا ودائمًا، ومنتصر لأَنَّه منهج معصوم لا يعتريه الخطأ والزَّلل، ومنتصر لأنه يَمْلك كلَّ مقوِّمات البقاء، وكلَّ مقوِّمات الظَّفر والاستمرار والنَّصر.

نعم، إنَّ المستقبل القريب لِهَذا المنهج الربَّاني، وعلى منهاج النبُوَّة الأولى، وهذا وعْدُ الله تعالى ولا ريب، كما قال تعالى: ﴿ كَتَبَ اللهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [المجادلة: ٢١]، وكما قال أيضًا: ﴿ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ [الصافات: ١٧٣].

* * *

* أمة الإسلام وشعوب المسلمين، هذا هو الطريق:

العودة إلى الإسلام من جديد، في كل شؤون حياتكم، ورفع راية التوحيد والاتباع للكتاب والسنة، بمنهج سلف أمتكم، وتوحيد صفوفكم المسلمة، وجمع كلمتكم، وإعلاء راية الفروسية والجهاد في سبيل الله، لتتسلموا "مقاليد الحكم والقيادة" كما كنتم، وتعزلوا عن العالم تلك القيادات البشرية الهزيلة القاتمة من أبناء عباد الصليب، وأتباع بني صهيون من اليهود، الذين فشت فيهم الفاحشة والزنا، وأكل الربا والسحت، والظلم بكل ألوانه وصوره.

واعلموا أنكم لن تَغلبوا عدوكم الماكر بسلاح وعتاد، ولن تُهزموا أنتم بفقده، إنما تنصرون بإيمانكم وعقيدتكم كما قال لكم ربكم "وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ" [الحج: ٤٠، ٤١].

ورحم الله العشماوي يوم أن قال:

يـــا جيـــل صـــحوتنا أعيـــذك أن أرى ... في الصـــف مـــن بعـــد الإخـــاء تمزقـــا
لـــك مـــن كتـــاب الله فجـــر صـــادق ... فـــاتبع هـــداه ودعـــك ممـــن فرقـــا
لـــك في رســـولك قـــدوة فهـــو الـــذي ... بالصـــدق والخلـــق الرفيـــع تخلقـــا
يـــا جيـــل صـــحوتنا ســـتبقى شـــامخا ... ولســـوف تبقـــى بالتزامـــك أســـمقا
ســـترى رؤى بـــدر تلـــوح فرحـــة ... بيمينهـــا ولســـوف تـــبصر خنـــدقا
ســـترى طريقـــك مســـتقيما واضـــحا ... وتـــرى ســـواك مغربـــا ومشرقـــا
فتحـــت لـــك البوابـــة الكـــبرى فـــما ... نخشـــى وإن طـــال المـــدى أن تغلقـــا
إن طـــال درب الســـالكين إلى العـــلا ... فعـــلى ضـــفاف المكرمـــات الملتقـــى
وهنـــاك يظهـــر حـــين ينقشـــع الـــدجا ... مـــن كـــان خوانـــا وكـــان المشـــفقا

* * *

من آيات الاستخلاف والتمكين في القرآن

أولاً: ضرورة تأهيل الأمة لمرحلة الخلافة والتمكين:

المتأمِّل اليوم لواقِع الأمة الإسلاميَّة عامة، وبعض الدول التي نالتْها الثورات والمظاهرات خاصة، وكذلك لواقع الدعوة الإسلامية عامة، والاتجاه السلفي خاصة، يرى بعين البصيرة حالة من الغبش والضبابية في كثير من المسائل والأمور، وقَع فيها كثير من الناس والشباب، ولا أبالِغ حتى بعض الدعاة وطلاب العلم، وليس هذا بموضوعنا الآن.

ذلك أن الدعوة الإسلامية بمُجمَل اتِّجاهاتها تَبذُل الجُهد سالكة دروب المفاصلة مع التيارات والاتجاهات العَلْمانية والليبرالية، في معركةٍ عَقديَّة وأخلاقية كبيرة، لا انتهاء لها إلا أن يشاء الله بانتصار الحق والعدل والسُّنة، ولا ريب في هذا، ولكن هذه المعركة طويلة الأمد، وقد جعل الله – تعالى – لها سُننًا كونية وشرعية، والكونية تقع بأمره، والشرعية تقع بأمره مع اتِّخاذ الوسيلة المشروعة إليها؛ كما قال – تعالى –: ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٤٠]، فنصْرُ الله لنا متعلِّق بنصرنا إياه لدينه وشريعته، وبذْل الأسباب الموصِّلة، وإعداد العُدة، كما قال – تعالى – أيضًا: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُون ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وتأهيل الأمة الإسلاميَّة لمرحلة القيادة والخلافة الإسلامية أمرٌ واجب على الأمة ودُعاتها وحَمَلة العلم فيها؛ لأن الخلافة أمر واقع لا محالة بموعود الله – تعالى – ورسوله – صلى الله عليه وسلم – ولكن في الوقت الذي يشاؤه الله تعالى، والذي يعلم فيه بعلمه أن الأمة تستحِقُّ أن تَسود العالم من جديد بمنهج الله وشريعته.

كما جاء عند الإمام أحمد عن النعمان بن بشير – رضي الله عنه –، قال: كنا جلوسًا في المسجد، فجاء أبو ثعلبة الخشني فقال: يا بشير بن سعد، أتحفَظُ حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في الأمراء، فقال حذيفة: أنا أحفَظ خُطبته، فجلس أبو ثعلبة، فقال حذيفة: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: ((تكون النُّبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوَّة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون مُلْكًا عاضًّا، فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون مُلْكًا جَبرية فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكَت))، قال حبيب: فلما قام عمر بن عبدالعزيز، وكان يزيد بن النعمان بن بشير في صحابته، فكتبت إليه بهذا الحديث أذكِّره إياه، فقلت له: إني أرجو أن يكون أمير المؤمنين – يعني عمر– بعد المُلْك العاض والجبرية، فأُدخِل كتابي على عمر بن عبدالعزيز فَسُرَّ به وأعجَبه[١]، وللحديث شاهد عن سَفينةَ – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: ((الخلافةُ في أمتي ثلاثون سنةً، ثم مُلْك بعد ذلك))، ثم قال سفينة: أمسِكْ عليك خلافة أبي بكر، ثم قال: وخلافة عمر، وخلافة عثمان، ثم قال لي: أمسِكْ خلافة علي قال: فوجدناها ثلاثين سنة"؛ رواه أحمد وحسَّنه الأرناؤوط.

وروى الإمام أحمد عن حذيفة – رضي الله عنه – أنه قال: "ذهبتِ النُّبوة فكانت الخلافة على منهاج النبوة"، وصحَّحه الأرناؤوط، والذي عليه بعض من أهل العلم أن المُلْك الجبريَّ هو هذه الحِقبة الزمنية التي تمرُّ الأمة الإسلامية بها الآن، وإن الله – تعالى – سيهيِّئ للأمة الإسلامية طريقًا للعودة لهذه الخلافة الراشدة على مِنهاج النبوة الأولى.

* * *

ثانيًا: ماذا تعني الخلافة الإسلامية والتمكين؟

الخلافة الإسلامية تعني:

التمكين للمؤمنين المُتَّبعين للكتاب والسُّنة، والسائرين على طريق الصحابة والسلف الصالح من بعدهم، التمكين لهم بأن يُقيموا العقائد والشعائر والشرائع التي أمر الله - تعالى - بها ورسوله في جميع مجالات الحياة البشرية، والتمكين لهم بالإعلان عن عبوديَّتهم لله وحده لا شريك له في حُكمه ولا في أمره، في حرية كاملة دون خوف من الطُّغاة أو الظالمين، أو وجَلٍ من أعداء الله المتربِّصين والمنافقين.

والتمكين لهم أن يَملِكوا زمام قيادة العالم من جديد كما كانوا في القرون الماضية، وأن يَفتحوا قلوب العالمين بنور هذا الدين الحق، ويفتحوا كنوز الأرض وخيراتها بالجهاد في سبيله وحده وإعلاء كلمة دينه، والتمكين لهم بأن يَحكموا الناس بشريعة الله، وأن يرفعوا ظُلْم الظالمين، وفساد المفسدين، وأن يُقيموا ميزان الحق والعدل بين الناس بما أنزل الله تعالى، وأن يَرفعوا عنهم الذُّل والمهانة التي طالما عاشوا فيها سنينَ طويلة، يَذِلون فيها لأعداء الله من اليهود والنصارى والمنافقين، ويحكُمون بقوانينِ الظُّلم والجَور بين العالمين.

إن الخلافة تعني الكثير والكثير من تحرير البشرية كلها من قبضة الطُّغاة والمنافقين، الذين يُحارِبون شريعة الله ومنهجه، وتحريرها من أن تَذِل لغير خالقها وموجِدها، وتعني أن تَستمِدَّ أحكامَها وشرائعها من مِنهاج ربها وشريعة الإسلام.

وهذه الخلافة قادمة لا محالة، ولكنها تأتي ببذل الجهود، وإعداد العُدة، وتطهير القلوب، وتزكية النفوس، واستعلاء الإيمان في قلوب أصحابه، إنها قادمة - بإذن الله - ولكن بالسُّنن التي تعمل في الكون، وليس بترك الدعوة والتخاذل عن نصرة الإسلام والمستضعفين في الأرض، فمن الواجب أن تتأهَّل أمة الإسلام لهذه الخلافة الراشدة التي طال انتظارُها لها.

كما قال القائل[٢]:

قــــالوا: الســـــعادة في الســـــكون وفي الخمــــــــول وفي الخمـــــــود
في العـــــــيش بـــــين الأهـــــل لا عـــــيش المهـــــاجر والطريـــــد
في المشي خلـــــــف الركــــــب في دعـــــــة وفي خطـــــو وئيـــــد
في أن تقـــــــول كـــــــما يقـــــال فـــــــلا اعـــــــتراض ولا ردود
في أن تســـــير مــــع القطيـــــع وأن تقــــــــاد ولا تقـــــــــود
قلــــت: الحيــــاة هـــــي التحـــــرك لا الســـــــكون ولا الهمـــــــود
وهـــــي الجهـــــاد، وهـــــل يجـــــا هـــــد مـــــن تعلـــــق بـــــالقعود؟
وهـــــي التلـــــذذ بالمتاعـــــب لا التلـــــــذذ بـــــــــالرقود
هـــــي أن تـــــذود عــــن الحيــــاض وأي حـــــــر لا يـــــــذود؟
هـــــي أن تحـــــس بـــــأن كـــــأس الـــــذل مــــن مــــاء صـــــديد
هـــــي أن تعــــيش خليفـــــة في الأرض شــــأنك أن تســــود

* * *

ثالثًا: انحراف واستعجال:

ومن هنا فمجاهدة الباطل وأهله، وبذْل الجُهد وإعداد الأمَّة وجيل النصر والتمكين أمر لا بد من بذْله، والسعي له بكل مُتاح ومُباح.

إلا أن لله سُننًا شرعية في هذا، لا يتوصَّل للنصر والتمكين إلا بها، وباستخراج الوُسْع فيها، وقد فصَّلها الله لنا ورسوله – صلى الله عليه وسلم – في الوحيين؛ الكتاب والسنَّة.

إلا أن فريقًا من الناس يستعجل النصر والتمكين بطبيعته البشرية "خلق الإنسان من عجل"، ويحاول أن يقطع أشواطًا وأسبابًا لا بد من كمالها، للوصول إلى مرامه وغايته، فيقع في الانحراف مرة، وفي التخبط والتلون أخرى، وفي الغفلة تارة، وضعف البصيرة تارة، وفي التأويل مرات ومرات، وهكذا يترنح الطريق ظانًا أنه في درب النجاة سالك، ولمعالم السنة والحق مالك، والأمر على حقيقته ليس كذلك.

إن الفطرة البشرية الحرة تأبى أن تتقوقع بعيدًا داخل صدفة من الخزف، أو جحر أو كهف في زاوية الجبل، إنما ترنوا دائمًا لعبير الحرية الرباني، الذي لا يقتل انطلاقتها نحو الحق والعدل، وهي على صراط مستقيم من أمرها ومنهجها، وجاء به الكتاب ناصعًا: " قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ".

والصراط له سبيل واحد وجناحان، إخلاص واتباع؛ فالإخلاص إكسير الأعمال وجوهرها، والاتِّباع صِقال الأعمال وميزانها، وحيثما اختلَّ أحد الجناحين انحرَف السبيل، وصار يَهذي بغير دليل، وجاء النص بيِّنًا كرابعة النهار: ((من عمِل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ))؛ رواه مسلم.

وإن الاعتراف بأسباب النكوص والفَشَل عن النصر، وضَياع الكثير من شباب أمتنا لأمرٌ محمود؛ فقد أخرَج أبو داود - رحمه الله تعالى - في سُننه عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: سمِعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: ((إذا تَبايعتم بالعِينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزَّرع، وتركتم الجهاد، سلَّط الله عليكم ذُلاًّ، لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم)).

وعن ابن عمر قال: كنا عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: ((كيف أنتم إذا وقعت فيكم خَمسٌ، وأعوذ بالله أن تكون فيكم أو تُدرِكوهن؛ ما ظهَرت الفاحشة في قوم قط يُعمل بها فيهم علانية إلا ظهَر فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم، وما منَع قوم الزكاة إلا مُنِعوا القَطْر من السماء، ولولا البهائم لم يُمطَروا، وما بخَس قومٌ

المكيال والميزان إلا أُخِذوا بالسنين وشدة المؤنة وجَور السلطان، ولا حَكَم أمراؤهم بغير ما أنزَل الله إلا سلَّط عليهم عدوهم، فاستنقَذوا بعض ما في أيديهم، وما عطَّلوا كتاب الله وسُنة نبيه إلا جعل الله بأسَهم بينهم))؛ رواه البيهقي والحاكم، وصحَّحه الألباني.

وقال - تعالى -: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

وصدق القائل:

وكان البِرُّ فعلاً دون قولٍ ... فصار البِرُّ نُطقًا بالكلامِ

وقال الرصافي في ديوانه:

مَلأنا الجوَّ بالجَدلِ اصطِخابًا ... وكنا قبْلُ نَملؤه هُتافَا

ومازِلنا نَهيم بكلِّ وادٍ ... مِن الأقوال نُرسِلها جُزافَا

وإن استعجال بوارق النصر بطريق متلوِّن مع كل موقف، أو بخفض الجناح للمنافقين وأذنابهم للوصول للمَرام - لأمرٌ فيه مُجازفة ولا ريب، قد لا توصِل لسبيل الكمال، ونشوة الانتصار على حقيقته، ومن هنا صدَع بها النبي - صلى الله عليه وسلم - لجيل الصحابة والتمكين الأول؛ فعن خباب بن الأرت قال: شكونا إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو متوسِّد بُردة في ظل الكعبة، وقد لقينا من المشركين شدةً فقلنا: ألا تدعو الله، فقعد وهو محمرٌّ وجهه، وقال: ((كان الرجل فيمن كان قبلكم يُحفَر له في الأرض، فيجعل فيه، فيجاء بمنشار فيوضَع فوق رأسه فيُشق باثنين فما يصُده ذلك عن دينه، وليُتمَّنَّ اللهُ هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله، أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجِلون))؛ رواه البخاري.

وعلى الطريق صبَر نوح - عليه السلام - في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا، وصبَر هود وصالح وشعيب، وجاهَد إبراهيم الحنيف - عليهم السلام جميعًا - وأوذي موسى كثيرًا، وقتِل زكريا ويحيى، وكاد أن يُقتل عيسى لولا رفْعُ الله له، وصبَر سيد الأنام في مكة ثلاث عشرة سنة، دعوة ومجاهدة، وصبْر وتضحية، هو ومن معه، حتى جاء وعد الله بالنصر والتمكين.

* * *

رابعًا: بشائر القرآن بالاستخلاف والتمكين والظهور:

وقد نطَقت آيات القرآن بأن الاستخلاف في الأرض والتمكين والظهور، لا يكون إلا من الله تعالى، إما بالاصطفاء الرباني، وإما ثمرة للإيمان والعمل الصالح، وإما بالدلالة العامة، ودلالة الآيات في ذلك واضحة.

منها قوله - تعالى -:

أ- ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٣٠].

ب- ﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ [ص: ٢٦].

ج- وقال - تعالى -: ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ [القصص: ٥- ٦].

د- وقال - تعالى -: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [الفتح: ٢٨].

هـ- ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [النور: ٥٥].

و- ﴿ قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ [الأعراف: ١٢٩].

ز- ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ ﴾ [الأعراف: ٦٩].

ح- ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ [الأعراف: ٧٤].

ط- ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ﴾ [النمل: ٦٢].

ي- ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [الأنعام: ١٦٥].

ك- ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [فاطر: ٣٩].

ل- ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ [الحج: ٤١].

م- ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴾ [الأنعام: ٦].

* * *

خامسًا: وقفة مع آيات الاستخلاف والتمكين:

ونحن إذا تأمَّلنا نصوص الوحيين الكتاب والسنة، لوقفنا على جملة من النصوص الشرعية الآنف ذكرها وغيرها، التي تبيِّن لنا معالِم السبيل، وتَخُطُّ للأمة المسلمة معالم الاستخلاف والنصر والتمكين، ولم تتركها لأهواء الناس وأذواقهم وعجلتهم.

كما أنها تبيِّن أن المصلحة العليا للأمة تتمثَّل في تحقيق مناط العبودية لله والطاعة لرسوله - صلى الله عليه وسلم - بالسمع والطاعة، والاعتصام بمنهج إقامة التمكين للطائفة المؤمنة المنصورة في الأرض.

وذلك بتحقيق مَناط التمكين الحق، المذكور في كتاب الله - تعالى - في قوله: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ * وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [النور: ٥٤ - ٥٦].

وليست تلك المصلحة التي تكون راجِحة أو مرجوحة بتأويلات بحسَب غَلَبة الظن، أو كثرة العدد والتصويت لها في البرلمان أو المجلس التشريعي الأرضي، بالموافَقة عليها أو بعَرْضها للاستفتاء الشعبي، ممن يَفْقه ومَن لا يَفقه.

* وهنا نقف على عدة أمور ونقاط مهمة:

أولاً: من أقوال أهل التفسير في معنى الاستخلاف والتمكين:

وهنا نُشير إلى بعض من التأملات في الآيات السابقة، وعلى وجه أدق في بيان معنى الاستخلاف والتمكين والظهور، هذه المعالم الثلاثة التي دلَّت عليها النصوص دلالة واضحة، وأقوال أهل التفسير - لا ريب - فيها كشَفٌ عن مراد كلام الله تعالى.

فمن ذلك ما يلي:

أ- قال ابن سعدي - رحمه الله - في معنى الاستخلاف والتمكين ووعد الله لأهل الإيمان بذلك:

"هذا من وعوده الصادقة، التي شوهِد تأويلها وتَخبَرها، فإنه وعَد من قام بالإيمان والعمل الصالح من هذه الأمَّة، أن يستخلِفَهم في الأرض، ويكونوا هم الخلفاءَ فيها، المتصرِّفين في تدبيرها، وأنه يمكِّن لهم دينَهم الذي ارتضى لهم، وهو دين الإسلام، الذي فاق الأديان كلها، ارتضاه لهذه الأمة، لفضْلها وشرَفها ونعمته عليها، بأن يتمكَّنوا من إقامته، وإقامة شرائعه الظاهرة والباطنة، في أنفسهم وفي غيرهم، لكون غيرهم من أهل الأديان وسائر الكفار مغلوبين ذليلين، وأنه يُبدِّلهم من بعد خوفهم الذي كان الواحد منهم لا يتمكَّن من إظهار دينه، وما هو عليه إلا بأذى كثير من الكفار، وكون جماعة المسلمين قليلين جدًّا بالنسبة إلى غيرهم، وقد رماهم أهل الأرض عن قوس واحدة، وبغَوا لهم الغوائل".

وقال أيضًا - رحمه الله -:

"فوعدهم اللهُ هذه الأمور وقت نزول الآية، وهي لم تُشاهِد الاستخلافَ في الأرض والتمكين فيها، والتمكين من إقامة الدين الإسلامي والأمن التام، بحيث يعبدون الله ولا

يُشركون به شيئًا، ولا يخافون أحدًا إلا الله، فقام صدْرُ هذه الأمَّة، من الإيمان والعمل الصالح بما يَفوقون على غيرهم، فمكَّنهم من البلاد والعباد، وفتحت مشارق الأرض ومغاربها، وحصَل الأمن التام والتمكين التام، فهذا من آيات الله العجيبة الباهرة، ولا يزال الأمر إلى قيام الساعة، مهما قاموا بالإيمان والعمل الصالح، فلا بد أن يوجَد ما وعدهم الله، وإنما يسلِّط عليهم الكفار والمنافقين، ويُدِيلُهم في بعض الأحيان، بسبب إخلال المسلمين بالإيمان والعمل الصالح.

﴿ وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ ﴾ التمكين والسلطنة التامة لكم يا معشر المسلمين، ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ الذين خرجوا عن طاعة الله، وفسَدوا، فلم يَصلُحوا لصالح، ولم يكن فيهم أهلية للخير؛ لأن الذي يترك الإيمان في حال عِزِّه وقهْره، وعدم وجود الأسباب المانِعة منه، يدل على فساد نيَّته، وخُبْث طويَّته؛ لأنه لا داعي له لترك الدين إلا ذلك، ودلَّت هذه الآية، أن الله قد مكَّن مَن قبلنا، واستخلَفهم في الأرض، كما قال موسى لقومه: ﴿ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٢٩]، وقال - تعالى -: ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ [القصص: ٥ -٦]؛ تيسير الكريم الرحمن للسعدي.

ب- وقال الشنقيطي - رحمه الله - في معنى الاستخلاف:

"ذكر - جل وعلا - في هذه الآية الكريمة أنه وعَد الذين آمنوا وعمِلوا الصالحات من هذه الأمة ليستخلفنَّهم في الأرض؛ أي: ليجعلنهم خلفاء الأرض، الذين لهم السيطرة فيها، ونفوذ الكلمة، والآيات تدل على أنَّ طاعة الله بالإيمان به، والعمل الصالح سبب للقوّة والاستخلاف في الأرض ونفوذ الكلمة؛ كقوله - تعالى -: ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ ﴾ [الأنفال: ٢٦].. الآية.

وقوله – تعالى –: ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَللهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ [الحج: ٤٠-٤١]، وقوله – تعالى –: ﴿ إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [محمد: ٧] إلى غير ذلك من الآيات"؛ [أضواء البيان للشنقيطي].

ج- وقال ابن كثير – رحمه الله – في تفسيره للآية كلامًا جيدًا في بابه في بيان الاستخلاف، وكيف تحقَّق في أمة الصحابة، وكيف يتحقَّق فيمن بعدهم:

"هذا وعْد من الله لرسوله – صلى الله عليه وسلم – بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض، أي: أئمةَ الناس والولاةَ عليهم، وبهم تَصلُح البلاد، وتَخضع لهم العباد، ولَيُبدلَنَّ بعد خوفهم من الناس أمنًا وحُكْمًا فيهم، وقد فعَل – تبارك وتعالى – ذلك، وله الحمد والمنة، فإنه لم يَمت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حتى فتَح الله عليه مكة وخَيْبَرَ والبحرين، وسائر جزيرة العرب وأرض اليمن بكمالها.

وأخذ الجزية من مَجُوس هَجَر، ومن بعض أطراف الشام، وهاداه هرقلُ ملك الروم وصاحب مصر والإسكندرية – وهو المقوقس – وملوك عمان والنجاشي ملك الحبشة، الذي تَملَّك بعد أصْحَمة، رحمه الله وأكرَمه".

قال ابن كثير – رحمه الله –:

"ثم لما مات رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – واختار الله له ما عنده من الكرامة، قام بالأمر بعده خليفته أبو بكر الصديق، فَلَمَّ شَعث ما وَهَى عند موته – عليه الصلاة والسلام – وأطَّدَ جزيرة العرب ومهَّدها، وبعَث الجيوش الإسلامية إلى بلاد فارس صحبة خالد بن الوليد – رضي الله عنه – ففَتحوا طرفًا منها، وقتلوا خَلْقًا من أهلها.

وجيشًا آخر صحبة أبي عبيدة – رضي الله عنه – ومن معه من الأمراء إلى أرض الشام، وثالثًا صحبة عمرو بن العاص – رضي الله عنه – إلى بلاد مصر، ففتَح الله للجيش

الشامي في أيامه بُصرى ودمشق ومَخَاليفهما من بلاد حَوران وما والاها، وتوفَّاه الله – عز وجل – واختار له ما عنده من الكرامة.

ومَنَّ على الإسلام وأهله بأن ألْهَم الصِّدِّيق أن استخلَف عمر الفاروق، فقام في الأمر بعده قيامًا تامًّا، لم يَدُرِ الفَلَك بعد الأنبياء – عليهم السلام – على مِثْله، في قوة سيرته وكمال عدْله، وتَم في أيامه فتح البلاد الشامية بكمالها، وديار مصر إلى آخرها، وأكثر إقليم فارس، وكَسَّر كسرى وأهانه غاية الهوان، وتقهقر إلى أقصى مملكته، وقَصَّر قيصر، وانتزع يده عن بلاد الشام فانحاز إلى قسطنطينة، وأنفَق أموالهما في سبيل الله، كما أخبر.. إلخ".

ثم قال ابن كثير – رحمه الله –:

"ولهذا ثبَت في الصحيح عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: ((إن الله زَوَى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وسيبلُغ مُلْك أمتي ما زُوي لي منها))، فها نحن نتقلَّب فيما وعَدنا الله ورسوله، وصدَق الله ورسوله، فنسأل الله الإيمان به، وبرسوله، والقيام بشكره على الوجه الذي يُرضيه عنا"؛ [تفسير القرآن العظيم لابن كثير].

د – وقال القرطبي – رحمه الله –:

"وقولُه: ﴿ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ [النور: ٥٥] يعني بني إسرائيل؛ إذ أهلَكَ الله الجبابرة بمصر، وأورَثَهم أرضهم وديارهم فقال ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا ﴾ [الأعراف: ١٣٧].

وهكذا كان الصحابة مُستضعَفين خائفين، ثم إن الله – تعالى – أمَّنهم ومكَّنهم وملَّكهم، فصَحَّ أن الآية عامة لأمة محمد – صلى الله عليه وسلم – غير مخصوصة؛ إذ التخصيص لا يكون إلا بخبر ممن يجب له التسليم، ومن الأصل المعلوم التمسك بالعموم.

وجاء في معنى تبديل خوْفهم بالأمن أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لما قال أصحابه: أما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح؟ فقال – عليه السلام–: ((لا تلبثون إلا قليلاً حتى يجلس الرجلُ منكم في الملأ العظيم مُحتبيًا ليس عليه حديدة)).

وقال – صلى الله عليه وسلم –: ((والله ليُتمَّن اللهُ هذا الأمر حتى يسيرَ الراكبُ من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئبَ على غنمه، ولكنكم تستعجِلون))؛ خرَّجه مسلم في صحيحه، فكان كما أخبَرَ – صلى الله عليه وسلم – فالآية معجزة النبوة؛ لأنها إخبار عما سيكون فكان"؛ [الجامع لأحكام القرآن للقرطبي].

هـ– وقال أبو الطيب محمد صديق خان القنوجي في "فتح البيان في مقاصِد القرآن"، في معنى الاستخلاف وعموم الوَعْد به من الله لعباده:

﴿ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ بدلاً عن الكفار، وهو وعْد يَعُم جميع الأمة، وقيل هو خاص بالصحابة، ولا وجْه لذلك؛ فإن الإيمان وعمل الصالحات لا يَختصُّ بهم، بل يمكن وقوع ذلك من كل واحد من هذه الأمة، ومَن عمِل بكتاب الله وسنة رسوله فقد أطاع الله ورسوله، واللام في ﴿ ليستخلفنَّهم ﴾ جواب لقَسَمٍ محذوف أو جواب للوعد، وتنزيله منزلة القسم؛ لأنه ناجز لا محالة، والمعنى: ليجعلنَّهم فيها خلفاء يتصرَّفون فيها تصرُّف الملوك في مملوكاتهم، وقد أبْعَد من قال: إنها مختصَّة بالخلفاء الأربعة، أو بالمهاجرين، أو أن المراد بالأرض أرض مكة، وقد عرَفت أن الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب"؛ [فتح البيان للقنوجي].

ثانيًا: دلالة الآيات على طريق التمكين والاستِخلاف وصفات أهله:

الخلاصة من ذلك أن الآيات الكريمة دلَّت جملة على عدة أمور، منها:

الأول: تحقيق الإيمان والتوحيد الخالص:

ذلك أن تحقيق التمكين الموعود إنما هو بتحقيق الإيمان والتوحيد الخالِص، الصافي من كل شِرك في العبودية مع الله – تعالى – من الأنداد والأضداد، قال ابن سعدي – رحمه الله –: "بل حقيقة الإيمان أن يعرف الربَّ الذي يؤمن به، ويبذُل جُهده في معرفة أسمائه وصفاته، حتى يبلغ درجة اليقين، وبحسب معرفته بربه يكون إيمانه، فكلما ازداد معرفةً بربه ازداد إيمانُه، وكلما نقَص نقص، وأقرب طريق يوصله إلى ذلك، تدبُّر صفاته وأسمائه من القرآن، والطريق في ذلك إذا مرَّ به اسم من أسماء الله، أثبَت له ذلك المعنى وكمالَه وعمومه، ونزَّهه عما يُضادُّ ذلك".

وقال أيضًا: "حقيقة الإيمان: هو التصديق التام بما أخبرتْ به الرُّسل، المُتضمِّن لانقياد الجوارح".

الثاني: تحقيق الطاعة المطلَقة لله ورسوله وتحقيق العبودية:

وكذلك تحقيق الطاعة المطلَقة لله ورسوله في كل كبير وصغير من شؤوننا، وعدم الإعراض والتولي، وأيضًا تحقيق العبودية بإقامة الصلاة والعبادة، وإيتاء الزكاة والصدقة في حال قبل التمكين، وبعده لدوام استمراريته.

قال الله – تعالى –: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥]، وقال – تعالى –: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٥١].

وقد جاء في الحديث عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: ((كلُّ أمتي يدخلون الجنة إلا مَن أَبَى))، قيل: ومن يأْبى يا رسول الله؟ قال: ((من أطاعني دخل الجنَّة، ومن عصاني فقد أبى))؛ رواه البخاري.

وعن أبي نَجِيح العِرباض بن سارية - رضي الله عنه - قال: وعَظَنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - موعظةً بليغةً وجِلَت منها القلوب وذَرَفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله، كأنها موعظة مودِّعٍ فأَوصِنا، قال: ((أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن تأمَّر عليكم عبدٌ حبشي، وإنه من يَعِش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عَضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومُحدَثاتِ الأمور؛ فإن كل بدعةٍ ضلالةٌ))؛ رواه أبو داود، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

الثالث: تحقيق العمل الصالح:

وأيضًا بتحقيق العمل الصالح النافع للأمة والجماهير الغفيرة المحتاجة، من عمِل الخيرات، وإخراج الزكوات والصدقات، وقيام الجمعيات الخيرة والخيرية في الأحياء والمساجد، لنفْع الفقراء والمساكين وذوي الحاجات والأمراض.

والعمل الصالح واسِع وشامل لكل الواجبات الشرعية والمستحبَّات، من حقِّ الله ورسوله، وحق عباده، قال الطبري - رحمه الله - في تفسيره: "يقول - تعالى ذكره -: ﴿ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آَمَنُوا ﴾ [النور: ٥٥] بالله ورسوله، ﴿ مِنْكُمْ ﴾، أيها الناس، ﴿ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ يقول: وأطاعوا اللهَ ورسوله فيما أمَراه ونَهياه".

وطُرُق العمل الصالح كثيرة؛ فعن جابر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((كلُّ معروفٍ صدقةٌ))؛ رواه البخاري، ورواه مسلم من رواية حذيفة - رضي الله عنه.

وعنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((ما من مسلمٍ يَغرِس غرسًا إلا كان ما أكَل منه له صدقةً، وما سُرِق منه له صدقة، ولا يرزؤه أحدٌ إلا كان له صدقةً))؛ رواه مسلم.

وعن أبي ذرٍ جندب بن جنادة - رضي الله عنه - قال: قلت: يا رسول الله، أي الأعمال أفضل؟ قال: ((الإيمان بالله، والجهاد في سبيله))، قلت: أي الرِّقاب أفضل ؟ قال: ((أنفَسها عند أهلها، وأكثرها ثمنًا))، قلت: فإن لم أفعل؟ قال: ((تُعينُ صانعًا أو تَصنع لأخْرِقَ))، قلت: يا رسول الله، أرأيت إن ضَعُفتُ عن بعض العمل؟ قال: ((تَكُفَّ شرَّك عن الناس؛ فإنها صدقةٌ منك على نفسك))؛ متفقٌ عليه.

وقال صاحب "أضواء البيان" - رحمه الله -: "اعلم أولاً - أن القرآن العظيم دلَّ على أن العمل الصالح هو ما استكْمَل ثلاثة أمور:

الأول: موافقته لما جاء به النَّبي - صلى الله عليه وسلم - لأن الله يقول: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ [الحشر: ٧].

الثاني - أن يكون خالِصًا لله تعالى؛ لأن الله - جل وعلا - يقول: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، ﴿ قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي * فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ ﴾ [الزمر: ١٤ - ١٥].

الثالث - أن يكون مبنيًّا على أساس العقيدة الصحيحة؛ لأن الله يقول: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ فقيَّد ذلك بالإيمان، ومفهوم مخالفته أنه لو كان غير مؤمن لما قُبِل منه ذلك العلم الصالح.

وقد أوضح - جل وعلا - هذا المفهوم في آيات كثيرة؛ كقوله في عمَل غير المؤمن: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣]، وقوله: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [هود: ١٦]، وقوله: ﴿ أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ ﴾ [النور: ٣٩]... الآية، وقوله: ﴿ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴾ [إبراهيم: ١٨]، إلى غير ذلك من الآيات"؛ [أضواء البيان للشنقيطي].

الرابع: وقوع التمكين في عصر النبوة:

إنَّ وعْد التمكين والنصر قد تحقَّق للنبي - صلى الله عليه وسلم - في حياته، وكذا للصحابة الأكارم - رضي الله عنهم - وحقَّق الله لهم الفتح الأوسع في البلاد بعد وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم - وأَمَّن الناس، ونَشَر الحق والعدل، وعمَّ الخير بلاد المسلمين، وازداد الفتح الإسلامي على أيدي الصحابة والفاتحين منهم، ثم التابعين.

الخامس: استمرارية وقوع التمكين إلى قيام الساعة:

إن الوعد المذكور بالتمكين، يتحقَّق بموعود الله - تعالى - في كل الأمة إلى قيام الساعة، ما أقامت التوحيد والإيمان الحق، وعمِلت الصالحات والخيرات، وقد بيَّنا قول الإمام ابن كثير وغيره من أهل التفسير في بيان ذلك، وكون هذا التمكين والاستخلاف متحقِّقًا بطاعة الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم.

وقد جاء في الحديث واضحًا جليًّا: ((لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يَضرُّهم من خذَلهم حتى يأتي أمرُ الله وهم كذلك))؛ رواه مسلم وغيره.

السادس: غاية التمكين تعبيد الناس لربهم:

ذلك أن غاية التمكين والاستخلاف، هي تعبيد الناس لربهم - تعالى - في حُكْمه وأمره، وتحقيق العبودية منوط بتحقيق العقيدة والتوحيد، وإقامة العبادة من الصلاة والزكاة وطاعة الرسول في أمْره ونَهيه وغيرها؛ كما قال - تعالى -: ﴿ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [النور: ٥٥، ٥٦].

وجملة دلالة الآيات أنها تَدلُّ على وجوب تكوين الجماعة المؤمنة التي تَجتمِع فيها تلك الصفات العالية والمنابع الصافية، من تحقيق الإيمان والتوحيد، والطاعة لله والرسول،

والعمل الصالح، ولا نعني بها فريقًا أو حزبًا؛ فقد علِمنا من النصوص ما يدل على بُطلانها وانحرافها في الغالب، إنما نعني تربية الجيل المؤمن للذي يكون هو جيل النصر والاستخلاف الموعود والتمكين، الجيل الذي لا يعطي ولاءه لغير الله ورسوله وشريعته، ولا يتحزَّب أو يتفرَّق مع سُبُل أهل الأهواء والبدع، وحسْبنا من كتاب الله بيان صفات الجماعة المؤمنة، الثابتة بمنهجها على طول الطريق، وهي في قوله - تعالى -: ﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ [العصر: ١ - ٣].

ولهذا وجَب العملُ والسعي لتحقيق النصر والتمكين الموعود، بما أمَر الله - تعالى - به، والقيام بذلك على أكمل الوجوه وأحسَنِها.

* * *

ثالثًا: وجود مؤهِّلات وشروط أخرى للاستخلاف والتمكين:

هناك أيضًا شروط ومؤهِّلات أخرى لتحقيق كونيَّة الاستخلاف والتمكين للأمة في عدد من النصوص الشرعية من الكتاب والسنة أشرنا إليها آنفًا.

منها: تحقيق الصبر، وتحقُّق اليقين لقوله - تعالى -: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

* * *

رابعًا: مقومات استمراريَّة التمكين في الأمة:

ذَكَر الله - تعالى - في كتابه مقومات وجود الاستخلاف والتمكين في الأمة المسلمة، وعوامل بقائه واستمراريته فيها في قوله - تعالى -: ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ [الحج: ٤١].

قال الشنقيطي – رحمه الله –:

"دليل على أنه لا وعْد من الله بالنصر، إلا مع إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؛ فالذين يمكِّن الله لهم في الأرض ويجعل الكلمة فيها والسلطان لهم، ومع ذلك لا يُقيمون الصلاة ولا يؤتون الزكاة، ولا يأمرون بالمعروف، ولا ينهَون عن المنكر – فليس لهم وعْد من الله بالنصر؛ لأنهم ليسوا من حزبه، ولا من أوليائه الذين وعَدهم بالنصر، بل هم حزب الشيطان وأولياؤه، فلو طلبوا النصر من الله بناءً على أنه وعدهم إياه، فمَثلهم كمَثلِ الأجير الذي يمتنِع من عَمَل ما أُجِر عليه، ثم يَطلُب الأجرة، ومَن هذا شأنه فلا عقل له"؛ [أضواء البيان للشنقيطي].

وقال ابن سعدي – رحمه الله –: ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾؛ أي: ملَّكناهم إياها، وجعلناهم المُتسلِّطين عليها، من غير منازِع يُنازِعهم، ولا معارِض، ﴿ أَقَامُوا الصَّلاةَ ﴾ في أوقاتها، وحدودها، وأركانها، وشروطها، في الجمعة والجماعات.

﴿ وَآتَوُا الزَّكَاةَ ﴾ التي عليهم خصوصًا، وعلى رعيتهم عمومًا، آتَوْها أهلها، الذين هم أهلها، ﴿ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ ﴾، وهذا يشمَل كل معروف حسنه شرعًا وعقلاً من حقوق الله، وحقوق الآدميين، ﴿ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ كل منكر شرعًا وعقلاً معروف قُبْحه، والأمر بالشيء والنهي عنه يدخل فيه ما لا يتم إلا به، فإذا كان المعروف والمنكر يتوقَّف على تَعلُّم وتعليم، أجبَروا الناس على التعلُّم والتعليم، وإذا كان يتوقَّف على تأديب مقدَّر شرعًا، أو غير مقدَّر، كأنواع التعزير، قاموا بذلك، وإذا كان يتوقف على جعل أناس متصدِّين له، لَزِم ذلك، ونحو ذلك مما لا يتم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا به.

﴿ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ ﴾ أي: جميع الأمور، تَرجِع إلى الله، وقد أخبر أن العاقبة للتقوى، فمَن سلَّطه الله على العباد من الملوك، وقام بأمر الله، كانت له العاقبة الحميدة، والحالة الرشيدة، ومَن تسلَّط عليهم بالجبروت، وأقام فيهم هوى نفسه، فإنه وإن حصَل له مُلْك

موقَّت، فإن عاقِبتَه غير حميدة، فولايته مشؤومة، وعاقبته مذمومة"؛ [تفسير ابن سعدي، تفسير سورة الحج].

* * *

*** الهوامش:**

---

[١] ورواه أبو داود الطيالسي والبيهقي في منهاج النبوة، والطبري، وحسَّنه الأرناؤوط، وصحَّحه الألباني.

[٢] من كلمات د. يوسف القرضاوي.

الفصل الثاني

ردود وتعقيبات على المخالفين والعلمانيين

الفرار العلماني من عبودية الله وحده

أولًا: ماذا تعني العلمانية على حقيقتها؟

المتأمِّل لواقع الأمة اليوم يرى كمًّا كبيرًا من الأعداء المتربِّصين بدعوة الإسلام، والتي أَذِن الله تعالى لها بالعودة من جديدٍ، فأهل الكُفر - خاصَّة من اليهود والنصارى - أعداءٌ لَهَا، والعلمانيُّون واللِّيبراليون والمنافقون كذلك، وكل هؤلاء المتربِّصين لا يريدون للإسلام دولة، ولا عودةً إلى حاكميَّة الحياة كلِّها للأمة الإسلامية، بل ويكيدون المكايد لها في الليل والنهار، كما قال تعالى: "وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ" [البقرة: ٢١٧].

والمتأمِّل بنظرةٍ ثاقبة إلى تأريخ الواقع المعاصر في العالَمِ الإسلاميِّ والعربي، يرى بِوُضوحٍ أنَّ جلَّ "الحكومات" و"الأنظمة" و"الأحزاب" التي تَحْكم شعوبَه إنَّما هي أنظمة مُوالِيَةٌ للغَرْب والعلمانيَّة، وهي تستمدُّ قوَّتَها في إنشاء القوانين والدساتير - وكما يقولون "التشريعيَّة"، أو "الشرعية" - من أصولِ العلمانيَّة الغربية، وليس من منهج الإسلام وشريعته.

وإذا نظَرْنا إلى "العلمانيَّة" على حقيقتها، نَجِد أنَّها مذهبٌ غرْبِيٌّ طارئٌ على العالَمِ الغرْبِي، مذهبٌ خارج على منهج الكنَسِيَّة والعبادة، منهجٌ لا يَدِين لله تعالى بِسُلطان على البشريَّة، ولا يُعْطي لله حقًّا أن يُمدَّ لَهَا منهجًا ربَّانيًّا يُضِيء لَهَا الطريق في هذه الحياة الدُّنيا، مذهبٌ لا يُعبِّد النَّاس لَرِبِّهم وخالقِهم، ولا يجعل لله تعالى دِينًا يَحْكمهم ويهديهم.

ويقول صاحب كتاب "العلمانية في الحياة الإسلامية المعاصرة":

"لفظ العلمانية ترجمة خاطئة لكلمة (Secularism) في الإنجليزية، أو (secularity)، والترجمة الصحيحة للكلمة هي (اللادينية) أو (الدنيوية) لا بمعنى ما يقابل الأخروية فحسب، بل بمعنى أخص هو ما لا صلة له بالدين، أو ما كانت علاقته بالدين علاقة تضاد".

ويقول أيضًا في الكشف عن مدلولها: "ويقول معجم أكسفورد شرحاً لكلمة (secular):

١- دنيوي، أو مادي، ليس دينيا ولا روحياً: مثل التربية اللادينية، الفن أو الموسيقى اللادينية، السلطة اللادينية، الحكومة المناقضة للكنيسة.

٢- الرأي الذي يقول: إنه لا ينبغي أن يكون الدين أساساً للأخلاق والتربية".

ويقول أيضًا في بيان كامل لحقيقة العلمانية: "ويقول "المعجم الدولي الثالث الجديد " مادة: (Secularism).

"اتجاه في الحياة أو في أي شأن خاص يقوم على مبدأ أن الدين أو الاعتبارات الدينية يجب ألاَّ تتدخل في الحكومة، أو استبعاد هذه الاعتبارات استبعاداً مقصوداً، فهي تعني مثلاً السياسة اللادينية البحتة في الحكومة .

وهي نظام اجتماعي في الأخلاق مؤسس على فكرة وجوب قيام القيم السلوكية والخلقية على اعتبارات الحياة المعاصرة والتضامن الاجتماعي دون النظر إلى الدين".

ويقول المستشرق أربري في كتابه "الدين في الشرق الأوسط" عن الكلمة نفسها:

"إن المادية العلمية والإنسانية والمذهب الطبيعي والوضعية كلها أشكال للادينية، واللادينية صفة مميزة لـأوروبا وأمريكا ، ومع أن مظاهرها موجودة في الشرق الأوسط،

فإنها لم تتخذ أي صيغة فلسفية أو أدبية محددة، والنموذج الرئيسي لها هو فصل الدين على الدولة في الجمهورية التركية.

والتعبير الشائع في الكتب الإسلامية المعاصرة هو "فصل الدين عن الدولة" وهو في الحقيقة لا يعطي المدلول الكامل للعلمانية الذي ينطبق على الأفراد وعلى السلوك الذي قد لا يكون له صلة بالدولة، ولو قيل: إنها فصل الدين عن الحياة لكان أصوب، ولذلك فإن المدلول الصحيح للعلمانية إقامة الحياة على غير الدين، سواء بالنسبة للأمة أو للفرد، ثم تختلف الدول أو الأفراد في موقفها من الدين بمفهومه الضيق المحدود، فبعضها تسمح به، كالمجتمعات الديمقراطية الليبرالية، وتسمي منهجها (العلمانية المعتدلة - Non Religious) أي: أنها مجتمعات لا دينية ولكنها غير معادية للدين وذلك مقابل ما يسمى (العلمانية المتطرفة-antireligious)، أي: المضادة للدين، ويعنون بها المجتمعات الشيوعية وما شاكلها.

وبديهي أنه بالنسبة للإسلام لا فرق بين المسميين، فكل ما ليس دينياً من المبادئ والتطبيقات فهو في حقيقته مضاد للدين، فالإسلام واللادينية نقيضان لا يجتمعان ولا واسطة بينهما"(١).

* * *

ثانيًا: من مباديء الفكر العلماني في بلاد المسلمين:

١ - فَصْل الدِّين عن الحياة:

إنَّ العلمانية تَعْني: فَصْل الدِّين عن الحياة، فَصْل المخلوق عن منهج خالقه ومعبوده، فلا دَخْلَ للدِّين في شؤُون الإنسان، لا في مأكله وملبسه، ولا في اقتصادِه وحُكْمِه وسياسته، فلا يقول الدِّين للإنسان: هذا حلالٌ، وهذا حرام، ولا يقول أيضًا: هذا شِرْك،

وهذا إيمان، إنَّ العلمانية في إيجاز هي اللاَّدين، وكما قال قائلهم: "دَعْ ما لِقَيصر لقيصر، وما للهِ لله".

٢- الطَّعن في الشريعة الإسلامية:

وإنَّ العلمانية تَعْني: الطَّعن في الشريعة الإسلامية، وأنها شريعة بالِيَة ذاتُ طقوس وشعائر لا تُمارَس إلاَّ في دور العبادة.

٣- إحياء الوثنيَّات القديمة البائدة:

وإن العلمانية تعني: إحياء الوثنيَّات القديمة، كالفِرْعونيَّة وغيرها، وإشغال الأجيال بتعظيم هذا التُّراث البائد، ودَعْم المُؤَسَّسات ودُور الثَّقافة؛ لإحياء الجاهلية من جديد على صفحة التاريخ البشَرِي.

٤- الوقوف أمام تَحْكيم الشريعة الإسلامية:

وإن العلمانية تعني: الوقوف أمام تَحْكيم الشريعة الإسلامية؛ لأنَّها عندهم ليست مَنْهج حياة، وهذا عَصْر الحُرِّية وزمانُها، فلْيَعبد مَن شاء ما شاء.

٥- مُحاربة القِيَم والأخلاق الفاضلة:

وإن العلمانية تعني: مُحاربة القِيَم والأخلاق والحضارة الإسلامية؛ لأنَّها تَعْمل على هَدْم العلاقة بين الخالق والمخلوق، وبين العبد والمعبود، فلا رقابة لله عليه ولا سُلْطان، ولا ثوابَ ولا عقاب، ولا جنَّة ولا نار، فالمرأة في العلمانيَّة حُرَّة في جسَدِها تهَبُه مَن شاءَتْ، وتتحرَّك بإرادتها متى وكيف شاءت، فلا دين يَحْكُمها، ولا زوج يَأْمُرها، ولا أب يؤدِّبها، ولا قرآن يَهْديها.

٦- نَشْر الشُّذوذ الجنسي والإباحيَّة في بلادِ المسْلمِين:

وإن العلمانية تعني: العمل على نَشْر الشُّذوذ الجنسي والإباحيَّة، من الزنا واللواط والسحاق في مجتمعات المسلمين وبلادهم بلا خجل أو وجَل.

٧- إحياء الجاهلية بكل صورها:

وإن العلمانية تعني: "الجاهلية" بكل ألوانها وصورها، وكل توابع الفساد فيها، كما أنها تعني الكُفْر بالآخرة؛ إذْ لا ثواب ولا عقاب، ومِن ثَمَّ لا حساب.

* * *

ثالثًا: حصاد العلمَانِية المُرُّ في بلادِ المسْلمِين:

هذا بعضُ من فيضٍ مما تعنيه العلمانية الكافرة على حقيقتها، ونحن نسأل: ماذا قدَّمَت العلمانية للبلاد الإسلامية؟ وماذا أنتجَتْ من ثمار؟

إنَّ وجود العلمانية وقوانينها الوضعية في حكم بلاد الإسلام أدَّى بالأمَّة إلى الفرار، ولكن إلى مستَنْقَع الفاحشة والعُرْي والزِّنا، والفرار إلى الخنا والإباحيَّة، والإسفاف بالأخلاق والتميُّع بالقِيَم، فماذا حصدت الأمة من وراء ذلك؟

ما حصدت إلاَّ ضياع الأعراض، وانتهاك الحرُمات، وفساد الأخلاق وانحلالها، وانتشار الفواحش والعُرْي علَنًا، وتمرُّد الأجيال، وانتشار الأوبئة والأمراض الخبيثة؛ كالزُّهري والسَّيَلان المنَوِي، وأخطرها مرض الإيدز المُدمِّر، والذي لا يزال الطِّبُّ الحديث عاجزًا عن معرفة طُرُق الشِّفاء منه.

وفَرَّت الأُمَّة كذلك إلى التعامل الرِّبَويِّ وإعلان الفوائد المحرَّمة، والإسهام في البورصات العالمية والاستثمارية، فما حصدَتْ إلاَّ انتشار الفقر والبطالة بين الأجيال المتلاحقة، وما حصدت إلاَّ انتشار الفساد الاقتصادي، والسرقة المُعْلَنة في مقدَّرات الأُمَّة وثرواتها وممتلكاتها.

وفرَّت الأمَّة أيضًا إلى تحكيم القوانين الوضعيَّة المستوردة، فما حصدت إلاَّ ضياع نعمة الأمن والأمان، وظهور الحرام بكلِّ صُوَره وأشكاله، من أَخْذِ الرِّشوة، والسرقة، وشهادة الزور، وأكل الرِّبا، وأكل أموال الناس بالباطل.

وما حصدت إلاَّ استعباد الأُمَم الكافرة لها، وتحكُّمها فيها، وإدارة شؤونها وحياتها ومقدَّراتها، والعبث بِأَمْنِها وأخلاقها وعقيدتها، حتى صارت الأُمَّة قَصْعة مستباحة لكلِّ أحد، وغنيمة مُشْبِعة، ولعبة مسلِّية بأيدي العابثين.

هذه بعض الثِّمار المُرَّة للعلمانية المعاصِرَة في العالم الإسلامي، فضلاً عن آثارها وجراحها في العالَمَ الغَرْبي والأوربِّي نفسه، والتي لا طريق للخلاص منها إلاَّ بمنهج الله تعالى وشريعته.

يقول الدكتور عماد الدين خليل:

"في ظلال المجتمع العلماني يتمزق الإنسان بناء على تمزق مصيره، وتزدوج شخصيته اعتماداً على الثنائية التي اصطنعها بين المادة والروح، والجدران التي أقامها بين تجربتي الحس والوجدان، والجفاء الذي باعد به زيفاً بين عالمي الحضور والغياب، بين ما هو قريب ومرئي وما هو بعيد لا تراه العيون، والتصور الذي يصدر عنه ذلك الإنسان لا يوائم بحال بين العلاقات المعقدة المتشابكة التي تحكم الكون والعالم والحياة.

بل هو تصور يفصل بالقسر والعناد بين هذه العلاقات جميعها، يمزقها تمزيقاً، ويعمل فيها تقطيعاً وتشويهاً، فتغدو طاقات الكون والإنسان والحياة وما بينها جميعاً من وشائج وارتباطات - تغدو في حس العلماني وتصوره فوضى يسودها الانفصال والصداء والجفاء.. الدين يتناقض مع العلم، والفلسفة العقلية ترفض التشبث الطبيعي بالواقع الملموس والمذاهب الطبيعية لا تلزم نفسها بقيم خلقية أو إنسانية.

وهكذا سلسلة من المصادمات التي لا تقتصر آثارها السيئة على العالم الخارجي فحسب، بل في أعماق الإنسان وتجربته الذاتية كذلك.."(٢).

ويقول الشيخ جاد الحق علي جاد الحق شيخ الأزهر السابق - رحمه الله تعالى -: "إنَّ البحث عن هويَّة أخرى للأمة الإسلاميَّة خيانةٌ كبْرى، وجناية عظمى".

إن هؤلاء حقًّا يسيرون على درب التِّيه والضلال، والخيانة للدِّين والأوطان، كما أنَّهم يخطون حذو القُذَّة بالقذَّة خلف من سبقَهم ممن تآمروا على الهويَّة الإسلامية من قبل، ومن هنا شنُّوا عدة حملات خبيثة ماكرة في جلِّ وسائل الإعلام على "الاتجاهات الإسلامية" وسخَّروا أبواقهم الماكرة للعبث بالدستور.

وإذْ بنا نرى الحرب الخبيثة سرًّا وجهارًا من المنافقين وغيرهم، وقد سنُّوا سيوف الحرب، وأوقدوا نارها، ودقُّوا طبولَها، في وسائل الإعلام؛ المرئيَّة، والمقروءة، والمسموعة على حدٍّ سواء.

ومن ثَمَّ أخذوا يلتقطون بعض العبارات والتصريحات والمواقف، من بعض شيوخ الدَّعوة والحقِّ؛ ليلعبوا بها على وتر العواطف والكلام، والنَّيل من منهج الحقِّ وأهله ودُعاته، خاصَّة الاتِّجاه السَّلفي.

ذلك أن هؤلاء المنافقين من العلمانيِّين والليبراليين ومَن شابه طريقَهم وأهدافهم، لا يريدون - مهما كلَّفهم الأمر، وبذلوا من أموال - أن تظلَّ مصر ولا حتَّى الدول الأخرى، محافِظةً على هويَّتِها الإسلامية والعربيَّة، وتلك سُنَّة جارية؛ لأنَّ في ذلك نفعًا وتحقيقًا لغاياتهم ومآربِهم الخبيثة، ولدوام تواصُلِهم مع الغرب الكافر، والشرق الملحِد دون قيدٍ أو شرط.

* * *

رابعًا: الفرار العلماني من عبودية الله وحده:

إن العلمانيين العرب لا يريدون أن يروا شريعة الرحمن المنزلة في حياة المسلمين، ولا يريدون أن يروا الحكم الإسلامي المنزل من الله وحده، والمحفوظ من كل نقص أو خلل، أن يحكم الناس بالعدل ويسوسهم.

ولا يريدون أن يروا الاقتصاد المالي للأمة فيه الحلال والحرام، ولا هذا ربا ولا هذا بيع، ولا جلب الزكوات والصدقات من أهلها الأغنياء لإشباع الفقراء والمحتاجين، وكفالة البؤساء والمحرومين.

ولا يريدون أن يروا بنات ونساء المسلمين عفيفات طاهرات، محتشمات محتجبات، إنما يريدون نسائنا عاهرات فاجرات، عاريات دنسات، يلبسن ما يريدون، ويتمتعون بها في كل مكان كما يشاءون.

ولا يريدون مجتمعًا قوي البنية والحضارة، عظيم الخلق والسجايا، إنما يريدون مجتمع الزنا والسحاق واللوط والفواحش والمنكرات، بلا قيد أو رقيب، فالخمر حلال، والزنا مباح، والعهر لا حرج فيه، والسرقة فن، والغش ذكاء، والاحتيال فطنة، وسب الدين حرية، وقتل أهل الإسلام تطهير من العنصرية.

هكذا باختصار يريد العلمانيون وأذنابهم لبلاد الإسلام والعروبة، والسؤال: أحقًا هؤلاء يؤمنون بالله حق الإيمان إن كانوا مسلمين؟!

أحقًا يؤمنون بالقرآن أنه شرع المسلمين!

أحقًا يتبعون رسول الله محمدًا – صلى الله عليه وسلم -!

أحقًا يؤمنون بالآخرة والجنة ونعيمها، والنار وعذابها!

إن كانوا كذلك فلمَ يحاربون شريعتهم وعقيدتهم وبلادهم؟!

إن كانوا كذلك فلمَ لا يحكمون هم شريعتهم وعقيدتهم في أنفسهم وبلادهم؟!

وقد أنزل سبحانه آيات بينات زاهرات: "وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ * وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ * أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ" [المائدة: ٤٨-٥٠].

ولا خيار لهم بعد الإسلام وشرعته، بعد أن قال لهم ربهم سبحانه: "وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا" [الأحزاب:٣٦].

وإن لم يكونوا كذلك، فلمَ لا يعلنون أنهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر للعالمين؟! أم أنه النفاق والتدليس على هذه الأمة.

أم أنه الفرار من عبوديتهم لربهم وحده، والفرار من شرعه وأمره وحكمه!

نعم إنه الفرار من عبودية الله وحده والتحاكم إليه، إلى عبودية الأهواء والشهوات كيفما يشاءون.

إن الله توعد مثل هؤلاء، وحذر الأمة أن تتبع أمثال هؤلاء أشد التحذير فقال تعالى: "وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا * وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ

يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا" [الكهف:٢٨،٢٩].

كما أنه يجب على كلِّ مسلم الإذعان لله ورسوله، والاعتقاد بوجوب التزام الكتاب والسنة، ووجوب متابعة النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - كما قال - تعالى -: {فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [النساء: ٦٥].

إن الإسلام في البداية والنهاية هو التسليم للكتاب والسنة، والكتاب والسنة فيهما بيان كل شيء ممَّا يحتاجه المكلَّف؛ قال - تعالى - عن القرآن: {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ} [النحل: ٨٩].

وقال - سبحانه وتعالى -: {وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ} [يوسف: ١١]، وقال - تعالى -: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ} [النحل: ٤٤]، فاعتبروا يا أولي الأبصار.

* * *

* الهوامش:

(٢،١) العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها، للشيخ سفر الحوالي.

عفوًا فضيلة المفتي ليست السلفية كالعلمانية

لا تكاد الأُمَّة الإسلامية أن تَخْرج من غمَّة وفتنة، حتى تقَع في أُخرى، وهـذا ولا رَيْب من سُنَن الابتلاء الجارية؛ لتمحيص الصَّفِّ المسلم، وتمييز أهل الحقِّ الصـادقين، من غيرهم من أهل الخِداع والمُنافقين، ومما يُؤْلِم القلب، ويدْمي الـنَّفْس، ويهـزُّ الكيـان والوجدان: أن نجد ثُلَّة ممن يُشار إليهم بالبنان، يقفون دائمًا حجَرَ عَثرةٍ في طريق الأُمَّة ونَهْضتها، زاعمين أنهم يَسيرون بها نحو المَعالي، ويُشيِّدون لها صرح العلم والهداية.

ولقد كان الأزهر منارةً للعِلْم والهداية في طريق العلم والإرشـاد، يُخْـرِج العلـماء والفُقَهاء، والمُحَدِّثين والمفتين على طول التاريخ، إلاَّ أنه في هـذا الزَّمـان تغـيَّر مسـاره، وتحَجَّـم دَوْرُه، وضـعفَتْ كلمتـه، ودرَسَـتْ سـيادته، ومـا ذلـك إلاَّ لِوُجـود عوامـل الضَّعف والانعزال، والتَّبعية للساسة والحكام.

واليومَ نرى بعضًا من أهله صاروا لا يَرْقُبون في العلم إلاًّ ولا ذِمَّة، ولا يرفعـون له راية، ولا شامة، بل صاروا عِبْئًا ثقيلاً على تُراثه وعلمائه، زاعِمـين مـع ذلـك أنَّهـم سائرون بالأزهر تُجاه العلم والبناء.

* المفتي واللَّمز بالسلفية وأتباعها:

الدكتور علي جمعة مفتي مصر؛ أبعَـدَ الطَّريـق، تحـدث - كـما نُشِر موقـع مُفكِّـرة الإسلام - في حوار مـع موقـع "أون إسـلام"، نشَرَه يـوم الاثنـين، مُـدافعًا عـن دور الأزهر الذي يبدو خافتًا أمام تيَّارات أُخْرى على السَّـاحة، فقـال: "بعـض النـاس لا تُريد أن تَذْهَب للأزهر (للحصول على الفَتاوى) لِهَوى في نَفْسِها، ولِاتِّجاهـات سـلَفِيَّة متشدِّدة، ولِمَشارِبَ أخرى لا علاقة لها بالأزهر وكينونته وكفاءتـه، فالنـاس أرادت أن

تَذْهب إلى هذا الغير، فالذي حدَث ليس في عِلْم مشايخ الأزهر وفي قُدْرتهم، بل الذي حدث هو ما جرى في الثَّقافة العامة، والثقافة العامَّة تتعرَّض لهجمات علمانيَّة، والسلفيَّة المتشدِّدة أَقْرب ما تكون إلى العلمانية منها إلى الإسلام.. إلى غير ذلك".

واستطرد شارحًا هذا الرَّبْط بين السَّلفية والعلمانيَّة بقوله: "إن د. عبدالوهاب المسيري المُفَكِّر المصريَّ الراحل هو أوَّلُ مَن شرَح هذا، وهو يَصِفُ السَّلفية بأنها أقرب إلى العلمانيَّة، وباختصار شديدٍ يُمْكِن القول: إنَّ العلمانية لا تُنْكِر الدِّين، لكنها تُنحِّي الدِّين عن سير الحياة، والسَّلفية المتشدِّدة تريد أن تَنْعزل بالدِّين عن سير الحياة".

وتابَعَ يقول: "العلمانية تُؤْمِن بالخصوصية؛ ولذلك تَدْعو إلى اختصاص كُلِّ قوم بِلُغَتِهم، بثقافتهم، بِفُلْكُلورهم، بتاريخهم، بمصالحهم، فهي تؤيِّد انفصال الأكراد والتُّركُمان والعَرَب، والشِّيعة من السُّنة، والأقباط من المسلمين، العلمانية تُريد هذا؛ ولذلك تريد خريطة أخرى للعالم، وبدلاً من ٢٠٠ دولة يصبح ٤٠٠ دولة".

ومضى يقول: "والسَّلفيُّ المتشدِّد يريد الخصوصية، يريد أن تَتْركه في حاله، يَلْبَس كما يشاء، ويُصَلِّي كما يشاء منعزلاً في مسجده؛ ولذلك تجد هذه السَّلفية التدميريَّة تبني برنامجًا كثير الجزئيات؛ حتى يعيش فيه الإنسان بعيدًا عن مُمارسة الحياة، إذًا فالسَّلَفية تَقْبلها العلمانية؛ ولذلك رأينا العلمانيَّة وهي تُبارك السَّلفية إلى أنْ لُدِغَت منها في المصالح، ولكن الفِكْرَ السَّلَفي هو الوجه الآخر للفِكْر العلماني وهو لا يدري"، على حَدِّ قوله.

ويستطرد مفتي مصر شارِحًا رؤيتَه: "عندما يَسْمع السَّلفيُّون هذا الكلام يَغْضبون، يقولون: لا.. نحن مُؤْمِنون، والعلمانيَّة كُفْر، أبدًا، العلمانية أصلاً لم يُنْكِروا

الدِّين، هم يريدون أن يُخَصِّصوا الدِّين أو يعزلوا الدِّين، وأنتم تريدون أن تَنْعزلوا بالدِّين، وهذه هي المشابهة".

وحول انتشار السلفيَّة، اعتَبر "جمعة" أنَّ ذلك جاء كَردَّة فِعْل على موجات العلمانيَّة التي تَكْتسح المجتمعات الإسلاميَّة، وقال: "عندما تُريد هذه المجتمعات أن تتمسَّك بِهُويَّتها، فلا يكون عندها قدرة على التفكُّر، والوسطية والاعتدال، والانفتاح والترقُّب، فتُلْقي نَفْسَها في أحضان السَّلفية؛ لأنَّ السلفية حينئذ ستُمَثِّل لها هُويَّة محدَّدة"؛ انتهى.

* * *

* عفوًا فضيلة المفتي، ليست السلفية كالعلمانية!

وبعد هذا نقول: إنَّ الدكتور لم ينطلق انطلاقًا علميًّا مُؤصَّلاً، في تَبْيين العلاقة المزعومة بين السَّلفية والعلمانيَّة، وليت شِعْري: أنَّى يجتمعان، وبينهما مِن الفوارق ما بين السماء والأرض؟!

إنَّ الدكتور يعشق مذهب التصوُّف، ويُعْلِن عنه، ويشرح كتُبَه، وحَسْبُنا هنا آخِر ما نُشِر عنه في وكالات الأخبار قوله: "الذين يُحاربون التصوُّف ليلَتُهم ظلماء، وليلتهم أسود من قَرْن الخرُّوب".

وأضاف قوله: "الله منَّ على مصر بأنْ أوجَد الإسلام بها، ونرى الأزهر الشريف لا يَنتمي إليه إلاَّ من كان أشعريًّا أو صوفيًّا، فالتصوُّف رسالة من الرسائل التي يحافظ عليها المِصريُّون، وهوالذي يُعْطي الشريعة وسَطِيَّتَها، والإسلامَ رُوحَه، ولهذا الدِّين معناه".

فلا غَرابةَ أن يَلْمِز - الدكتور - منهج السَّلَف وأتباعه، ولا غرابة أيضًا أن يُشِيد بالتصوُّف وأتباعِه ومَدارِسه، وقد أجاز لهم أن يَحْلفوا بالنبي - صلَّى الله عليه وسلَّم -

لأنَّه ركن من أركان الإسلام، ونسَبَ هذا التَّجويز للإمام أحمد، كما ذَكَر عن الشافعي أنه كان صوفيًّا.

ونحن نقول للدكتور:

إنَّ الفارق بين السِّلَفية كمنهج - يُمثِّل العودة إلى الإسلام وشريعته - وبين العلمانيَّة فارقٌ كبير، وإنَّ الخلط بينهما مع التَّبايُن الواضح خلطٌ مفضوح، واستخفاف بالعقول.

إن العلمانية مذهب غربيٌّ طارئٌ على العالَم الغربي، مذهبٌ خارج على منهج الكنَسِيَّة والعبادة، منهج لا يَدِين لله تعالى بِسُلطان على البشريَّة، ولا يُعْطي لله حقًّا أن يمدَّ لها منهجًا ربانيًّا يُضِيء لها الطريق في هذه الحياة الدُّنيا، مذهبٌ لا يُعبِّد النَّاس لَرِبِّهم وخالِقِهم، ولا يجعل لله تعالى دِينًا يحكمهم ويهديهم.

إنَّ العلمانية تَعْني: فَصْل الدِّين عن الحياة، فَصْل المخلوق عن منهج خالقه ومعبوده، فلا دَخْلَ للدِّين في شؤُون الإنسان، لا في مأكله وملبسه، ولا في اقتصادِه وحُكْمِه وسياسته، فلا يقول الدِّين للإنسان: هذا حلالٌ، وهذا حرام، ولا يقول أيضًا: هذا شِرْك، وهذا إيمان، إنَّ العلمانية في إيجاز هي اللاَّدين، وكما قال قائلهم: "دَعْ ما لِقَيصر لقيصر، وما لله لله".

إنَّ العلمانية تَعْني: الطَّعن في الشريعة الإسلامية، وأنها شريعة بالِيَة ذاتُ طقوس وشعائر لا تُمارَس إلاَّ في دور العبادة.

وإن العلمانية تعني: إحياء الوثنيَّات القديمة، كالفِرْعونيَّة وغيرها، وإشغال الأجيال بتعظيم هذا التُّراث البائد، ودَعْم المُؤَسَّسات ودُور الثَّقافة؛ لإحياء الجاهلية من جديد على صفحة التاريخ البشَرِي.

وإن العلمانية تعني: الوقوف أمام تَحْكيم الشريعة الإسلامية؛ لأنَّها عندهم ليست مَنْهج حياة، وهذا عَصْر الحُرِّية وزمانُها، فلْيَعبد مَن شاء ما شاء.

وإن العلمانية تعني: مُحاربة القِيَم والأخلاق والحضارة الإسلامية؛ لأنَّها تَعْمل على هَدْم العلاقة بين الخالق والمخلوق، وبين العبد والمعبود، فلا رقابة لله عليه ولا سُلْطان، ولا ثوابَ ولا عقاب، ولا جنَّة ولا نار، فالمرأة في العلمانيَّة حُرَّة في جسَدِها تهَبُه مَن شاءَتْ، وتتحرَّك بإرادتها متى وكيف شاءت، فلا دين يَحْكُمها، ولا زوج يَأْمُرها، ولا أب يؤدِّبها، ولا قرآن يَهْديها.

وكذلك العمل على نَشْر الشُّذوذ الجنسي والإباحيَّة بلا خجل أو وجَل، فالعلمانية تعني الكُفْر بالآخرة؛ إذْ لا ثواب ولا عقاب، ومِن ثَمَّ لا حساب.

هذه هي العلمانيَّة في كلمات، والتي أراد الدكتور أن يساوي بها منهج السَّلف، في أنَّ السَّلفية جاءت كردَّة فعل للمجتمعات، كما حدث مع العلمانيَّة في الغرب، وهذا غريب جدًّا.

ونحن نسأل: ماذا قدَّمَت العلمانية للبلاد الإسلامية؟ وماذا أنتجَتْ من ثمار؟

إنَّ وجود العلمانية في بلاد الإسلام أدَّى بالأمَّة إلى الفرار، ولكن إلى مستَنْقَع الفاحشة والعُرْي والزِّنا، والفرار إلى الخنا والإباحيَّة، والإسفاف بالأخلاق والتميُّع بالقِيَم، فماذا حصدت الأمة من وراء ذلك؟

ما حصدت إلاَّ ضياع الأعراض، وانتهاك الحرُمات، وفساد الأخلاق وانحلالها، وانتشار الفواحش والعُرْي علَنًا، وتمرُّد الأجيال، وانتشار الأوبئة والأمراض الخبيثة؛ كالزُّهري والسَّيَلان المنَوِي، وأخطرها مرض الإيدز المُدمِّر، والذي لا يزال الطِّبُّ الحديث عاجزًا عن معرفة طُرُق الشِّفاء منه.

وفَرَّت الأُمَّة كذلك إلى التعامل الرِّبَويِّ وإعلان الفوائد المحرَّمة، والإسهام في البورصات العالمية والاستثمارية، فما حصدَتْ إلاَّ انتشار الفقر والبطالة بين الأجيال المتلاحقة، وما حصدت إلاَّ انتشار الفساد الاقتصادي، والسرقة المُعْلَنة في مقدَّرات الأُمَّة وثرواتها وممتلكاتها.

وفرَّت الأمَّة أيضًا إلى تحكيم القوانين الوضعيَّة المستوردة، فما حصدت إلاَّ ضياع نعمة الأمن والأمان، وظهور الحرام بكلِّ صُوَره وأشكاله، من أَخْذِ الرِّشوة، والسرقة، وشهادة الزور، وأكل الرِّبا، وأكل أموال الناس بالباطل، وما حصدت إلاَّ استعباد الأُمَم الكافرة لها، وتحكُّمها فيها، وإدارة شؤونها وحياتها ومقدَّراتها، والعبث بِأَمْنِها وأخلاقها وعقيدتها، حتى صارت الأُمَّة قَصْعة مستباحة لكلِّ أحد، وغنيمة مُشْبِعة، ولعبة مسلِّية بأيدي العابثين.

هذه بعض الثِّمار المُرَّة للعلمانية المعاصِرَة في العالم الإسلامي، فضلاً عن آثارها وجراحها في العالَم الغَرْبي والأوربِّي نفسه، والتي لا طريق للخلاص منها إلاَّ بمنهج الله تعالى وشريعته.

أما السَّلفية من جانب آخر، فهي تَعْني: الاتِّجاه المقدَّم للنُّصوص الشرعية على البدائل الأخرى منهجًا وموضوعًا، الملتَزِم بِهَدْي الرَّسول - صلَّى الله عليه وسلَّم - وهَدْي أصحابه عِلْمًا وعَمَلاً، المُطَّرِح للمناهج المخالفة لهذا الهَدْي في العقيدة والعبادة والتشريع"[١].

أو هي: اصطلاحٌ جامع يُطْلَق للدلالة على منهج السلف الصالح في تلَقِّي الإسلام وفهمه والعمل به، وللدلالة على التَّمسُّك بهذا المنهج، والعَضِّ عليه بالنواجذ؛ إيمانًا وتصديقًا واتِّباعًا.

إن السَّلفية ليست مذهبًا مُبْتَدعًا، ولا طريقًا مخالِفًا، كلا، إنَّما السَّلفية تعني: الدَّعوة إلى الإسلام دين الله الحق، المُنَزَّل من عند الله تعالى، الذي أَرسل به جميع أنبيائه ورسُلِه، هُداةً للعالَمين ورَحْمة لهم، وعلى رأسهم النبي محمَّد - صلَّى الله عليه وسلَّم - الذي اصطفاه الله لهذه الدَّعوة والرِّسالة الخاتمة لجميع الدعوات والرِّسالات: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ: ٢٨]؛ الآيةَ".

كما أنَّ الدعوة إلى منهج السَّلَف تعني: إقامة شريعة هذا الدِّين في الأرض، وإقامة عقائده وشرائعه ومبادئه وأخلاقه، كما أنَّها تَعْني صياغة الحياة البشريَّة كُلِّها بصبغة الربَّانية والعبودية لله تعالى وحده لا شريك له؛ كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾[الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣]، وقال تعالى: ﴿ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ [الشورى: ١٣] الآية".

نعَمْ، صبغة قائمة على عبوديتها لله وحده، وإيمانِها بِكُتُبه ورسله، عبوديَّة قائمة على إفراد الخالق المعبود بالخَلْق والأمر؛ ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٤]، عبوديَّة لا تتَّجه إلاَّ على أصول العقيدة والتوحيد، ولا تقوم إلاَّ على الحقِّ والإيمان، فلا عقيدة تستقرُّ في القلوب إلاَّ عقيدة الإيمان بالله والإيمان برسله، والإيمان بكتبه وشرائعه، والإيمان بالبَعْث بعد الموت والدَّار الآخرة دار الجزاء الحقِّ، ولا شريعة تحكم الحياة البشرية وتُقَوِّم مسيرتها، وتهذِّب أخلاقها، وتُصْلِح مجتمعاتها، وتبني سياستها واقتصادها، وحَرْبها وسِلْمَها - إلاَّ شريعة هذا الدِّين الحق؛ لأنَّه الدِّين المُنَزَّل من عند الله وحده، فليس من دين غيره يُقْبَل عند الله كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ ﴾ [آل عمران: ١٩] الآية"، وكما قال أيضًا لمن اعتقد دينًا يَدين به سواه: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥]؛ ولأنَّه الدِّين الذي ارتضاه لها: ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ

الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣] الآية"، ﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

ولأنَّه الدِّين الذي ضمَّنه الله تعالى كلَّ جوانب السعادة والهداية في الحياة الدُّنيا وفي الآخرة، ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ [طه: ١٢٣ - ١٢٤] الآيات"، ولأنَّه دين الحقِّ الجامع لكلِّ مَظاهر الحياة البشريَّة وفق منهج الله تعالى، الشَّامل الكامل، والصَّالح لكلِّ زمان ومكان: ﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠].

إنها ليست دعْوَةً إلى قَمْع البشرية واستعبادها، والسيطرة على مُقَدَّرات الشعوب وأقواتها، ونَهْب أموالها وممتلكاتها، كما فعلَتْه في القرون المتأخِّرة الشيوعيَّةُ الخبيثة المادِّية، بأفكارها ومعتقداتها الإلحادية الكافرة، أو كما تفعله أمريكا وأوربا بِمُبارَكةٍ وتخطيط يهودي صليبِي ماكر، أو حتىَّ ما يفعله أربابُ الأموال والثَّروات من الهنود واليابانيين والصينيِّين.

كما أنَّها ليست دعوة للخروج على حُكْم الله وشريعته، بِدَعاوى التقدُّم والعلم والانفتاح العلمي أمام البشريَّة مما يَجْعلها ليست في حاجة إلى شريعة تَحْكمها، ولا دين يُنَظِّم شؤون حياتها، كما أنَّها ليست دعوة مُستمدَّة من العقل والفكر البشري القاصر عن إدراك حقائق الأشياء، ولا الوصول إلى جميع مدلولاتها؛ لِيَصوغ لها قوانين بشرية في شتى مجالات الحياة، ثم يُحَكِّمها فيها، ويقول لها: هذا هو القانون العَصْريُّ الذي يتناسب مع طبيعة هذا الزَّمان.

كما أنها ليست دعوة أيضًا للتعدِّي على آداب الإنسان وحيائِه وحرُماته، وليست دعوة للفوضى والإباحيَّة، والفواحش والمنكرات على حساب شريعة الله والآخِرَة، لكنها دعوة ربَّانية طاهرة، تَسْمو بالإنسان إلى حيثُ هو عند الله من التَّكريم والرِّفعة،

وتسمو بأخلاقه وآدابه فيرتفع بإيمانه بالله على دَنايا النَّفْس، وحُبِّ الشَّهوات واللـذَّات التي تقودها كثيرًا إلى الهلاك والخسران"[٢].

فالسلفيَّة إذًا تعني العودة إلى منهج الإسلام وشريعته، والعودة إلى الكتاب والسُّنة بما كان عليه سلَفُ هذه الأُمَّة وصدرها الأول من أصحاب النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - والتابعين لهم بإحسان.

فكيف يحقُّ إذًا أن نُساوي بين الحقِّ والباطل، وبين الإسلام والكُفْر، وبين الضَّلال والهداية؟! حقًّا إنَّه قياس فاسد، ورأي كاسد، حقًّا إنَّ التخبُّط بعيدًا عن نور العلم والحقِّ، زعمًا أنَّ وجه المشابهة بينهما هو الانعزال عن الحياة، والانخراط في جزئيَّات وفرعيات، لا تُحَرِّك للأمَّة ساكنًا.

كان على الدكتور أن يبيِّن الفارق الكبير بين شباب عرَفُوا المساجد والمصاحف، والمَحاريب وحِلَق العلم، وبين شباب تائهٍ متسكِّع في مَحاريب الشيطان وأوكار الفاحشة.

وكان عليه أن يأخذ بيد الشباب إلى الله تعالى، وإلى سُنن النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - وأن يستنقذهم من لوث الذُّنوب والأهواء، لكنَّه قام يَضْرب الحقَّ بالباطل، والباطِلَ بالحقِّ، وصدق الله تعالى إذْ يقول في كتابه: ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ * أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ * إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴾ [القلم: ٣٥ - ٣٨].

كما كان على الدكتور أن يبيِّن للنَّاس أنَّ العلمانية طريقٌ إلى جنَّهم، فلَكَمْ أهلكَت الأُمَّة طويلاً، وأقْفرَت منها الآفاق في البلاد، واصْطَلَت بنارها وجحيمها!

كما كان عليه أن يقول للناس جميعًا: إن الذي يُخَطِّئ شيخ المُحدِّثين، ويُضَعِّف كتابه الصَّحيح - أَعْنِي البُخاريَّ رحمه الله - إنما هو أَخْرق مَعْتوه، لا يتكلَّم بميزان من الحقِّ والعلم.

وأن الذي يُبيح للأُمَّة أَكْلَ الرِّبا من فوائد البنوك إنَّما هو مُسْتعْلٍ على الله وأَمْرِه، وأنَّ الذي يدعو إلى الشُّذوذ والإباحية إنما هو مُنْسَلِخ من الفطرة السَّويَّة، والعقيدة الربَّانية، وأن الذي يُبيح للناس شرب الدُّخان في نهار رمضان إنَّما هو صاحب هوًى لاَ اجْتهاد.

كما كان ينبغي عليه أن يقول كلمة الحقِّ في شأن العلمانيِّين والمنافقين، الذين يَسُبُّون أصحاب النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - في بلاد الأزهر، وصَرْح العلم، كما كان عليه أن يبيِّن للأُمَّة حُكْم الشريعة الإسلامية في مُنْكِري السُّنَّة النبوية، الجاحدين لها، والمُحارِبين لأهلها، وكذلك الحُكْم فيمن أنكَرَت الحجاب الشَّرعي الربَّاني، وأنكرت شرعيَّته وفضائله.

كما كان ينبغي عليه مع ذلك أن يبيِّن حُكْم الشَّرع في الحالف بغير الله تعالى، وكذلك الصَّلاة في المسجد الذي نُصِبَت فيه الأضرحة، وقامَتْ لغير الله وحده، وحكم الشَّرع في الذِّكْر الجماعي والتَّمايُل والصِّياح المرتفع، وحكم الشَّرع في شِرْك القبور.

كما كان عليه أن يبيِّن حكم الإسلام في وسائل الإعلام الفاسدة، ومَن يقومون على أمره من الفنَّانين والممثِّلين، والمُطْرِبين والمُخْرِجين، وكيف أنهم قادوا الأُمَّة إلى مستنقع آسنٍ عَفِن من الفاحشة والرَّذيلة باسْم الفن والتنوير.

وبعد كل هذا لست أدري هل يجوز لمسلم في أيِّ مَنْزِلة كان أن يُسَمِّي مُلازمة السُّنَّة، واتِّباعَ الحقِّ تشدُّدًا وتنطُّعًا؟! ولستُ أدري ما هو المقياس الحقُّ للوصول إلى معنى التَّشدُّد والتَّزمُّت، زَعَموا؟!

فهل اتِّباع السُّنة وملازمة هَدْي رسول الله الظَّاهر والباطن محسوب من التشدُّد؟! وهل بيان الحقِّ من الحلال والحرام، والسُّنة من البِدْعة - من التشدُّد؟! وهل البحْثُ عن أهل العلم الصَّادقين، الذين خالطَ الإيمانُ بشاشة قلوبهم وجوارحهم من التشدُّد؟! وهل معرفة حُكْمِ الله تعالى بلا متابعة الهَوى، ومُداهنة السُّلطان من التشدُّد؟! وهل بيانُ مَذاهب أهل البِدَع والأهواء، والمُخالفين لطريق أصحاب النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - من التشدُّد؟!

عفوًا يا دكتور؛ ما تُورَدُ المَسائل هكذا، وما يصحُّ القياس بهذا، إنَّ اختلال ميزان الحقِّ في القَلْب يُورِثُه اختلال الظَّاهر، والعكس بالعكس.

إن الأُمَّة اليوم لا تحتاج إلى مِثْل هذه العبارات المُلْهِبة للفِتْنة، لكنَّها في حاجة إلى عالِمٍ ربَّاني، وقائد بصير، يأخذ بها إلى منهاج الحقِّ والنُّبوة، ويَسير بها نَحْو سبُل النَّجاة، فمتى يعي هذا الدَّرسَ أبناءُ أُمَّتِنا، وحامِلو رايَتِها؟!

* * *

* الهوامش:

---

[١] "السَّلفية وقضايا العَصْر"، للدكتور الزنيدي، ص ٤٩.

[٢] "المنهج السلفي معالم على طريق الدعوة والتمكين"، عاطف الفيومي.

يا دكتور: متى تخرس الأقلام عن قول الزور

ذكرت في مقال سابق لي ردًا على فضيلة المفتي "الدكتور علي جمعه"، وكان عنوانه "عفوًا فضيلة المفتي ليست السلفية كالعلمانية"، بعد أن شن حربًا على المنهج السلفي والسلفية وأتباعها، محاولًا في كلامه اللمز والغمز بالتيار السلفي، ومشبها له بالفكر الغربي العلماني، وقد بذل قصارى جهده في ذمه ورميه بالتخلف والرجعية والجمود، إلى آخر ذلك الكلام المموج علمًا وفكرًا، ونقلًا وعقلًا.

وها هو فضيلة المفتي "الدكتور علي جمعه"، يخرج لنا مقالًا جديدًا ينسب إليه إذا صح ذلك، مجددًا قوله الصراح، في الطعن في الاتجاه السلفي، زاعمًا فيه كمًا كبيرًا من الخلط الشرعي، والأكاذيب الواقعية التي يرميه بها.

وإني هنا لست في معرض بيان الأخطاء والمغالطات التي طالما رفع بها الدكتور صوته، ولم يستحي إطلاقًا من المجاهرة بها على الملأ إعلاميًا وداخليًا وخارجيًا، لكن على هامش مقاله أدون.

فهذه ليست المرة الأولى التي يتوجه الدكتور إلى غمز ولمز "الاتجاه السلفي"، طاعنًا فيه، خاصة بعد أحداث الثورة المصرية وتطوراتها، والتخويف الكاذب من فزاعة "الإسلاميين" و"الدولة الدينية"، وهذا بعض مما جاء فيه باللغة الإنجليزية:

(أ) Most disturbingly, the past few weeks have seen a very disturbing rise in violence from extremist quarters targeted at places of religious significance. Both Coptic churches and the graves of important Muslim personalities have been attacked. These are alarming developments, and especially so in light of the fragile state of our country at this crucial juncture. They need close attention and to be stopped so that the religious, social and political integrity of the country remains intact.

(ب) When the idealistic view of society envisioned by those who call themselves Salafis fails to come to pass this can then cause dangerous further radicalism. The fact that the past they idealize is a figment of their imagination and thus necessarily unattainable becomes an engine of radicalization fuelled by their inevitable frustration.

(ج) Sadly, this dangerous mix of isolationism and idealism can also feed into an undeserved self-confidence, indeed arrogance. Taken together all this comprises a spiritual malaise which is integral to the disease of extremism, and can only be countered by a truly Islamic spiritual base[1].

أما الخبر بالعربية فقد نشرت صحيفة "مفكرة الإسلام الإلكترونية": "في مقال بعث به مفتي الديار المصرية إلى صحيفة "واشنطن بوست" الأمريكية، شن الدكتور "علي جمعة" حملة شديدة على أصحاب التوجه السلفي في مصر، متهمًا إياهم بأنهم يشكلون خطرًا حقيقًا؛ لأنهم من يقفون وراء استهداف الكنائس والأضرحة في مصر - حسب تصريحه -.

وقال جمعة: "إن الأسابيع القليلة الماضية شهدت صعودًا مقلقًا للعنف من قبل أوساط متشددة استهدفت أماكن تحتل أهمية دينية، فقد تعرضت كنائس قبطية وأضرحة لشخصيات إسلامية هامة لهجمات. وهذه تطورات تدق مقلقة للغاية، وخاصة في ضوء الوضع الهش لبلدنا في هذا المنعطف الخطير".

كما قال: "هؤلاء الذين يقومون بتلك الهجمات الشائنة ليسوا إلا منتهزي فرص ومتشددين، لا يمتون بصلة إلى التراث الإسلامي العظيم".

كما اتهم جمعة أصحاب "الاتجاه السلفي" بأن تفكيرهم رجعي حيث يريدون العودة إلى (الماضي)؛ حيث قال: "للأسف، فهؤلاء الذين يقومون بمثل تلك الهجمات البربرية ضد الشعب المصري ومؤسساتهم الثقافية والدينية لا يهدفون ببساطة إلى إظهار مثالية الماضي، بل إلى عودة تامة إليه بكل تفاصيله وتفصيلاته".

وتابع يقول: "وهذا التفكير الرجعي هو مشكلة في حد ذاته، ولكن الأكثر سوء عندما يتم طرحه على أنه المعيار الذي يجب أن يلتزم به جميع المسلمين، بينما من لا يفعل منهم يتم توبيخه والتشكيك في صحة إيمانه. وهذه القوى قد زرعت الشقاق في المجتمع كما عزلت بعض شرائح المجتمع المسلم عن الآخرين"، على حد قوله.

كما وصف مفتي مصر السلفيين بأنهم جماعة متحجرة منعزلة رافضة للحياة معادية للمجتمع وللعالم تسعى لشق الصف ونشر التشدد الديني، زاعمًا أن تصرفاتهم لا تمت للإسلام وأن أفكارهم تزرع الشقاق في المجتمع وأخطر من ذلك أنهم يجعلون منهجهم هو المعيار الذي يجب أن يكون عليه المسلمون.

كما تضمن المقال تحذيرًا للأمريكان من هؤلاء السلفيين الذين يسببون مزيدًا من التطرف - على حد وصفه -، معتبرًا أنه يجب عليهم تركيز الانتباه على هؤلاء السلفيين وإيقافهم للحفاظ على سلامة البلد الدينية والاجتماعية والسياسية حسب تصريحه.

ويأتي هذا التصريح لإحدى أهم الصحف الأمريكية فيما نظر إليه بعض المراقبين على أنه أشبه ما يكون برسالة استغاثة موجهة إلى الأمريكان للاستقواء بهم على السلفيين في مصر.

وكانت مصادر التحقيق المصرية قد نفت بشكل قاطع مسئولية السلفيين عن هدم الأضرحة، كما أن أصابع الاتهام قد أشارت إلى وقوف وزير الداخلية السابق حبيب العادلي وراء تفجير كنيسة القديسين بالإسكندرية، وإلى مسئولية فلول الحزب الوطني المنحل عن حالات الاحتقان الطائفي الأخيرة بين المسلمين والنصارى، في ظل تأكيد رموز العمل السلفي على التحذير من خطر الفتنة الطائفية ودعوتهم

لكشف الجهات التي تقف وراءها؛ بهدف إشاعة الفوضى والفتنة فيما أسموه بالثورة المضادة.

ويندرج مقال مفتي مصر، وهو صوفي ينتمي للطريقة الجعفرية، ضمن حملة شرسة تتعرض لها التيارات السلفية في مصر في أعقاب استفتاء التعديلات الدستورية الذي أظهر زخمًا وانتشارًا واسعًا وتأثيرًا كبيرًا للسلفيين ومشايخهم لدى جموع الشعب المصري.

وظهرت بوادر أزمة بين الطرق الصوفية والجماعات السلفية في مصر على إثر انتشار تقارير في وسائل الإعلام تتحدث عن دعوات سلفية لإزالة الأضرحة من جميع مصر، الأمر الذي نفته رموز الدعوة السلفية بشدة.

مؤكدة أن ما قيل يعد جزءًا من سلسلة الشائعات التي تستهدف زعزعة ثقة المصريين في الدعوة، ومعتبرة أيضًا أن ما حدث من تصرفات فردية في هذا الشأن لا يُنسب إليها.

وقد دأب مفتي مصر علي جمعة على مهاجمة التيار السلفي الذي يؤكد مراقبون أنه بات الأكثر انتشارًا بين فئات المجتمع المصري، وهو ما دللت عليه نتيجة الاستفتاء على التعديلات الدستورية.

كما اعتاد جمعة في مقابلة على الإشادة بالتيار الصوفي الذي ينتمي إليه.

ومن أعجب تصريحات المفتي في هذا الشأن أنه اعتبر في تصريح له إبان عهد الرئيس المخلوع حسني مبارك، التيار السلفي، "أقرب ما يكون إلى العلمانية منه إلى الإسلام"[2]. انتهى.

* * *

وهنا نستخلص عدة أمور مهمة وخطيرة مما سبق، وإن كان الكلام كثيرًا لكن حسبي ما يلي:

الأول: الحرب على الاتجاه السلفي ليست جديدة:

هذه حقيقة لا يجب أن تغيب عن أذهان المسلمين على الإطلاق، ولا أن يذعنوا للمخالفين لها، فإذا كان التوجه السلفي مناديًا بالعودة إلى الإسلام الصافي الصحيح وفق منهج السلف، فقد صار هذا من الأهمية اليوم بمكان، فإن التيار السلفي أقرب من يمثله ولا ريب.

ومن هنا فلا غرابة على الإطلاق أن تتوجه السهام والرماح إليه، بالاتهامات الباطلة، والأكاذيب الشائعة، والحرب الضروس إعلاميًا وفكريًا.

وقد أكد أهل العلم مرارًا على أن السلفية منهج الإسلام، لا فرقة ولا جماعة، لكنها الإسلام في صفائه ووضوحه، وبينوا ذلك كثيرًا، لكن أين من يسمعون صوت الهدى والحق.

وإن أصحاب القلوب المريضة، التي لا تبحث عن حقائق الشريعة الإسلامية بصفائها وشمولها، وكذلك أصحاب الأهواء والفرق والبدع، وكذلك أهل النفاق والعلمنة وأذنابهم، كل هؤلاء لا يريدون حقيقة العودة إلى الإسلام الصافي من البدع والخلط والأهواء، أو الإسلام الشرعي، لكنهم إما أصحاب أهواء وأغراض ومصالح، وإما أصحاب جهل وضلال.

ومن هنا فإنهم يستقطبون السذج من الناس والرعاع إلى أفكارهم وأهوائهم، ويرفعون سيوف الإرهاب الفكري ضد من يسمونهم "السلفيين" أو أصحاب "الفكر الوهابي" زعموا.

وحسبنا أن نرى خبرًا من أخبارهم حيث "وزعت جماعات صوفية، خلال أحد احتفالاها بمدينة طنطا (حوالي ٩٢ كم شمال القاهرة)، منشورات تهاجم التيارات السلفية وتصفها بأنهم "مرتزقة" و"أخطر أعداء الإسلام".

وخلال احتفال الآلاف من أتباع الطرق الصوفية بما يُسمى "المولد الرجبي للسيد البدوي".

وهو احتفال بدعي لا يُعرف له أصل في الشريعة الإسلامية، فضلًا عما يرتكب خلاله من المنكرات والبدعيات، وزع عشرات الصوفية منشورات وبيانات تحمل عنوان: "من هم السلفية".

وتصف هذه المنشورات السلفيين بأنهم "جماعة إسلامية تكفيرية متشددة"، وتزعم أن السلفيين "يضمون مرتزقة، وهم أخطر أعداء الإسلام"، فيما وزع آخرون منشورات تطالب بتأسيس حزب سياسي صوفي لـ"مواجهة المد السلفي"، بحسب صحيفة "المصري اليوم".

وتأتي تلك المنشورات التي تهاجم التيارات السلفية ضمن حملة شرسة تتعرض لها الجماعات السلفية في مصر في أعقاب استفتاء التعديلات الدستورية الذي أظهر زخمًا وانتشارًا واسعًا وتأثيرًا كبيرًا للسلفيين ومشايخهم لدى جموع الشعب المصري.

وظهرت بوادر أزمة بين الطرق الصوفية والجماعات السلفية في مصر على إثر انتشار تقارير في وسائل الإعلام تتحدث عن دعوات سلفية لإزالة الأضرحة من جميع مصر، الأمر الذي نفته رموز الدعوة السلفية بشدة؛ مؤكدة أن ما قيل يعد جزءًا من سلسلة الشائعات التي تستهدف زعزعة ثقة المصريين في الدعوة، ومعتبرة أيضًا أن ما حدث من تصرفات فردية في هذا الشأن لا يُنسب إليها"[3].

فهؤلاء وغيرهم يحاربون "الاتجاه السلفي" بقوة وبكل متاح، خاصة بعد سقوط النظام الحكومي السابق، في ثورة الخامس والعشرين من يناير ٢٠١١ م.

* * *

الثاني: للمرة الثانية عفوًا فضيلة الدكتور عليك الانقياد للحق:

وها أنا أقول للدكتور على جمعة للمرة الثانية بعد مقالي الأول، يا دكتور: لمصلحة من تعلن هذه التصريحات والكتابات المؤلمة؟، لمصلحة من تشن حربك وسهامك الباطلة، على المنادين بالعودة إلى حقائق الإسلام الصحيحة الصافية وفق منهج السلف؟، لمصلحة من تنشر هذه الأكاذيب شرعًا وعقلًا وواقعًا؟.

هل لمصلحة الحكومات والسياسات البشرية الهزيلة؟

أم هل لمصلحة الأمريكان والأوربيين والصهاينة اليهود؟

أم هل لمصلحة جماعة وفرقة الصوفية والأضرحة والقبوريين؟

أم لمصلحتك الشخصية وأهوائك الذاتية؟

صدق القائل:

أوردها سعد وهو مشتمل ما هكذا يا سعد تورد الإبل

يا دكتور: ما هكذا تكون لغة العلم والحوار، وما هكذا تصحح الأفكار كما تزعم في أقوالك واتهاماتك.

إنني أعتقد أنك صاحب علم وفكر وبحث واطلاع، فليتك تخلوا بنفسك ساعة من ليل أو نهار، وتركن إلى ربك، ثم إلى علمك وفكرك، فتطلع على منهج السلف الصالح، وتقف مع علمهم وفقههم وملازمتهم للكتاب والسنة، ثم تقرأ من

أخبارهم وسيرهم وعقيدتهم، ثم ترى حولك، هل ترى اليوم من غبار على أتباعهم، هل ترى عليهم من جهالة بحق، هل هم غيروا منهج السلف وعقيدتهم وفقههم.

إنني اعتقد أنك لو أخلصت قلبك وعلمك وفكرك لله تعالى، وتجردت بحق من ذاتك ونفسك لعلمت أن هؤلاء أصحاب علم وبصيرة وحق، ولعلمت أنهم فتية آمنوا بربهم وشرعيتهم حكمًا ومنهاجًا، وأنهم على درب الهدى والحق لا يحيدون عنه.

ولكن يا دكتور:

ليتك تفعل ذلك، وليتك تعود إلى الحق والهدى، وليتك تقف أمام الانحرافات والضلالات الصوفية، والتي كانت سببًا حقيقًا من أسباب تأخر دولة الإسلام والعلم، كما كانت سببًا في سقوط الخلافة الإسلامية بسبب تواكل الأمة وانشغالها بغير كتاب وسنة.

لماذا الدكتور لا يحارب العلمانيين والمنافقين، الذين ضيعوا الأمة الإسلامية وجروها إلى العبث بهويتها ودينها وتراثها الإسلامي والعربي.

ولماذا لم يقف الدكتور أمام البدع والخرافات من أهل التصوف المعاصرين والقدامى على حد سواء، ويبين للناس طريق الحق والسنة، ويبين لهم أن السلفيين يحبون أهل البيت ويصلون عليهم كل صلاة.

ولماذا لم يقل لهم أن الملتزمين عامة والسلفيين خاصة، حرصوا على أمن بلادهم وأوطانهم، حتى غيرهم من النصارى حافظوا عليهم، فلم تهدم لم كنسية، ولم يعتدى على قسيس، بل دافعوا عنهم، ووقفوا معهم، بل ودعوا إلى حمايتهم وبناء كنيستهم التي هدمت، لأحداث خاصة لا علاقة لها بما يجري الآن.

ولماذا لم يرد الدكتور على المنسلخين من قيمهم وأخلاقهم من أصحاب الفن الهابط الرخيص، والذين ينشرون الفاحشة في الذين آمنوا في أغانيهم وأفلامهم ومسلسلاتهم الهابطة.

ولماذا لم يشنع على الذين اتهموا علامة الزمان في الحديث وشيخ المحدثين محمد بن إسماعيل البخاري بأنه لا يعلم شيئًا في الحديث.

ولماذا لم يرد على من أجاز شرب الدخان في الصيام، وقال أنه لا يفطر الصائم، وأن المرتد عن دين الإسلام بعد إسلامه واختياره كافر يقتل ردة وحدًا.

ولماذا لم يرد على الذين يسبون أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الجرائد الصفراء والمغرضة، ويتطاولون على القمم من أهل العلم والإسلام.

ولماذا لم يبين للناس أن حكم الطواغيت والظالمين ظلم للشعوب المسلمة، وهضم لحقها الإسلامي والإنساني معًا، وأنه يجب العودة إلى أحكام الإسلام الصافية الكاملة في جميع شؤون الحياة كلها سياسة واقتصادًا وإعلامًا وسلوكًا وأخلاقًا.

ولماذا يستجدي عطف الأمريكان وجهلهم بحقائق الإسلام وما يجري في بلادنا، ضد أبناء دينه ووطنه وأمته.

ولماذا لم يرد القول على الدكتور يحيى الجمل، ويرد الباطل من قوله والافتراء الكاذب على الله ودينه، وبيان حكم الإسلام في كلامه وأقواله.

لماذا دائمًا لا تصوب سهام الخذلان، والكيد والخسران دائمًا، إلا لأهل الحق والسنة والإيمان.

* * *

الثالث: شباب السلفية أصحاب فكر وتربية ومنهج وليسوا انتهازيين:

نعم يجب علينا أن نفهم هذا جيدًا، "شباب السلفية أصحاب فكر وتربية ومنهج وليسوا انتهازيين"، كما يتقول ذلك كل متربص مريض القلب، ولا يعني هذا أنهم براء كبشر من الوقوع في الخطأ، والانزلاق في الفكر، كلا..، قد يقع بعض الأفراد منهم ولا ريب في خطأ ما، وقد تزل قدمه في منزلق ما، لأنهم بشر، ليسوا بمعصومين، ولا بمحفوظين من ذلك، وهذا نص حديث النبي - صلى الله عليه وسلم - عن أنس قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون". رواه الترمذي وابن ماجه والدارمي.

ولكن وقوعهم في الخطأ لا يعني أن يعم الخطأ على منهج صحيح بأكمله، ولا أن نظن بأصحابه ظن السوء والجاهلية، إذًا لو فعلنا ذلك، فمن حق أهل الكفر والضلال أن يقولوا عن الإسلام دين الإرهاب والتطرف زعموا، بسبب وقوع بعض المسلمين في أخطاء هنا وهنالك.

ومن حق الناس اليوم - في ظل تعدد التيارات والاتجاهات والجماعات - أن تعرف حقيقة السلفية وأصولها، وأن تعرف حقيقة أتباعها وشبابها، ليكونوا على بينة من أمرهم.

إذًا لا بد لنا من روح الحق والعدل والإنصاف، وألا نحمل خطأ ما على حساب المنهج وحملته، لكن الذي ينبغي أن يقال بحق، إن علماء الدعوة السلفية وشبابها وأتباعها، لا ينطلقون إلا من ميدان شرعي صحيح، ولا ينطلقون إلا من فهم واقعي عميق، فهم أصحاب تربية ناضجة، لأنهم أقرب للحق من غيرهم، شباب تربوا على اتباع الكتاب والسنة من منابع صافية، لم تكدرها بدع ولا أهواء، ولم تكدرها مصالح ولا منافع، شباب تربوا على التأصيل بالدليل، فكل كلامهم قال الله قال الرسول "الكتاب والسنة".

شباب مؤمن بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى، فهو مؤمن بدينه إيمان محب له، ومقتنع به، ومغتبط به، يرى الظفر به غنيمة ، والحرمان منه خسراناً مبيناً.

شباب يعبد الله مخلصاً له الدين وحده لا شريك له. شباب يتبع رسوله محمداً - صلى الله عليه وسلم - في قوله وعمله، فعلا وتركاً، لأنه يؤمن بأنه رسول الله وأنه الإمام المتبوع. شباب يقيم الصلاة على الوجه الأكمل بقدر ما يستطيع، لأنه يؤمن بما في الصلاة من الفوائد والمصالح الدينية والدنيوية، الفردية والاجتماعية، وما يترتب علي إضاعتها عواقب مخيمة للأفراد والشعوب.

شباب يؤتي الزكاة إلى مستحقيها كاملة من غير نقص، لأنه يؤمن بما فيها من سد حاجة الإسلام والمسلمين مما اقتضى أن تكون به أحد أركان الإسلام الخمسة.

شباب يصوم شهر رمضان فيمتنع عن شهواته ولذاته إن صيفاً وإن شتاءً؛ لأنه يؤمن بأن ذلك في مرضاة الله فيقدم ما يرضاه ربه على ما تهواه نفسه. شباب يؤدي فريضة الحج إلى بيت الله الحرام؛ لأنه يحب الله فيحب بيته والوصول إلى أماكن رحمته ومغفرته، ومشاركة إخوانه المسلمين القادمين إلى تلك الأماكن.

شباب يؤمن بالله خالقه وخالق السموات والأرض، لأنه يرى من آيات الله سبحانه ما لا يدع مجالا للشك والتردد في وجود الله. فيرى في هذا الكون الواسع البديع في شكله ونظامه ما يدل دلالة قاطعة على وجود مبدعه وعلى كمال قدرته وبالغ حكمته؛ لأن هذا الكون لا يمكن أن يوجد نفسه بنفسه ولا يمكن أن يوجد صدفة لأنه قبل الوجود معدوم والمعدوم لا يكون موجداً لأنه هو غير موجود.

ولا يمكن أن يوجد صدفة، لأنه ذو نظام بديع متناسق لا يتغير ولا يختلف عن السنة التي قدر له أن يسير عليها: ﴿ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِّ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِّ تَحْوِيلاً ﴾ [فاطر: الآية٤٣]، ﴿ مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ

تَرَى مِنْ فُطُورٍ* ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك:٣-٤].

وإذا كان هذا الكون على نظام بديع متناسق امتنع أن يكون وجوده صدفة؛ لأن الموجود صدفة سيكون انتظامه صدفة أيضاً، فيكون قابلاً للتغير والاضطراب في أي لحظة.

شباب يؤمن بملائكة الله؛ لأن الله أخبر عنهم في كتابه، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - أخبر عنهم في السنة. وفي الكتاب والسنة من أوصافهم وعباداتهم وأعمالهم التي يقومون بها لمصلحة الخلق ما يدل دلالة قاطعة على وجودهم حقيقة.

شباب يؤمن بكتب الله التي أنزلها على رسله هداية إلى الصراط المستقيم؛ لأن العقل البشري لا يمكنه إدراك التفاصيل في مصالح العبادات والمعاملات.

شباب يؤمن بأنبياء الله ورسله الذين بعثهم الله إلى الخلق يدعونهم إلى الخير ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل. وأول الرسل نوح وآخرهم محمد - عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام -.

شباب يؤمن باليوم الآخر الذي يبعث الناس فيه أحياء بعد الموت ليجازوا بأعمالهم ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾ [الزلزلة:٧-٨] لأن ذلك نتيجة الدنيا كلها فما فائدة الحياة وما حكمتها إذا لم يكن للخلق يوم يجازى فيه المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

شباب يؤمن بالقدر خيره وشره، فيؤمن بأن كل شيء بقضاء الله وقدره مع إيمانه بالأسباب وآثارها، وأن السعادة لها أسباب والشقاء له أسباب.

شباب يدين بالنصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، فيعامل المسلمين بالصراحة والبيان، كما يحب أن يعاملوه بهما، فلا خداع ولا غش ولا التواء ولا كتمان.

شباب يدعوا إلى الله على بصيرة حسب الخطة التي بينها الله في كتابه: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: الآية١٢٥].

شباب يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؛ لأنه يؤمن أن في ذلك سعادة الشعوب والأمة ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ ﴾ [آل عمران: الآية١١٠]، شباب يسعى في تغيير المنكر على النحو الذي جاء عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "من رأى منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه".

شباب يقول الصدق ويقبل الصدق، لأن الصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً.

شباب يحب الخير لعامة المسلمين؛ لأنه يؤمن بقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه".

شباب يشعر بالمسئولية أمام الله وأمام أمته ووطنه، فيسعى دائماً لما فيه مصلحة الدين والأمة والوطن بعيداً عن الأنانية، ومراعاة مصلحته الخاصة على حساب مصلحة الآخرين.

شباب يجاهد لله وبالله، يجاهد بالإخلاص له فلا رياء ولا سمعة ويجاهد بالله مستعيناً به غير معجب بنفسه ولا معتمد على حوله وقوته، ويجاهد في الله في إطار

دينه من غير غلو ولا تقصير، يجاهد بلسانه ويده وماله حسبما تتطلبه حاجة الإسلام والمسلمين.

شباب ذو خلق ودين، فهو مهذب الأخلاق، مستقيم الدين، لين الجانب رحب الصدر، كريم النفس، طيب القلب صبور متحمل لكنه حازم لا يضيع الفرصة ولا يغلب العاطفة على جانب العقل والإصلاح.

شباب متزن منظم يعمل بحكمة وصمت مع إتقان في العمل وجودة لا يضيع فرصة من عمره إلا شغلها بما هو نافع له ولأمته.

ومع أن هذا الشباب محافظ على دينه وأخلاقه وسلوكه فهو كذلك بعيد كل البعد عما يناقض ذلك من الكفر والإلحاد والفسوق والعصيان والأخلاق السافلة والمعاملة السيئة.

فهذا القسم من الشباب مفخرة الأمة ورمز حياتها وسعادتها ودينها، وهو الشباب الذي نرجو الله من فضله أن يصلح به ما فسد من أحوال الإسلام والمسلمين وينير به الطريق للسالكين، وهو الشباب الذي ينال السعادة في الدنيا والآخرة[4].

هذه حقيقة الشباب المسلم السلفي، والمتدين عمومًا بمنهاج الإسلام، لأن ما ذكرته هو منهاج الإسلام، وليس بدعًا من القول أو شططًا فيه.

ولا يعني كما أكدت أنهم لا يذنبون ولا يخطئون، لا إنهم كغيرهم بشر، لكن علينا ألا نحمل شبابنا وأمتنا ما لا تحتمل من التهوين والتهويل من قيمهم وأخلاقهم.

كما يجب علينا أن نمد لهم يد العون، ويد الحوار والنقاش، وأن نفتح الباب لتلاقي القلوب والعقول، ومدارسة محل الخلاف والاختلاف، بأدب الحوار والعلم، حتى نخرج بالتوجه الصحيح، والنقد البناء.

أما أن نشهر سيوف الإرهاب الفكري، والرمي بالبهتان، وقذف الناس بالباطـل، فهذا ما لا يرضاه دين ولا علم ولا خلق على الإطلاق.

وكفى الأمة فرقًا وجماعات، وكفى عصبية وتفرقًا واختلافًا، لا نريد سوى الحق، ولا نريد سوى العدل والإنصاف، واحترام الآخر بمزيد من الحب والأدب والنقاش.

* * *

*** الهوامش:**

([1]) موقع صحيفة؛ واشنطن بوست.

([2]) موقع مفكرة الإسلام الإلكترونية وقد رددت عليه في مقال "عفوًا فضيلة المفتي ليست السلفية كالعلمانية".

([3]) مفكرة الإسلام الإلكترونية.

([4]) مشكلات الشباب. لابن عثيمين.

تصريحات البابا تواضروس الثاني بين الحقيقة والادعاء

إن المتأمل لواقع أهل الذمة من النصارى في مصر، خاصة في العقود الأخيرة من تاريخ أمتنا الإسلامية، يجد أنهم يحيدون كثيرًا عن الحق والعدل من جانب، وعن القانون وأحكامه من جانب آخر، ولهذا فهم دائمًا يظهرون عدائهم للمسلمين في بلاد الإسلام، وربما تآمروا مع العدو الخارجي في زعزعة أمن البلاد واستقرارها.

ونحن نقول لهم، لا تخشوا من الإسلام شيئًا، ولا تضيقوا واسعًا من العدل والرحمة والإحسان، فلن يهضم لكم حقًا، ما دمتم تعيشون في ظل الشريعة الإسلامية وأحكامها، وقد نص على ذلك القرآن جليًا واضحًا، وكذلك السنة النبوية، والتاريخ الإسلامي حافل بالحقائق التي لا يكابر فيها إلا معاند ومنافق.

فلا سعادة لنصارى مصر ولا غيرها ولا لأهل الكتاب عمومًا، إلا في رحاب السيادة الإسلامية، لأنها حاكمة بالعدل، مقدمة للإحسان، حافظة للدماء والأعراض والأموال، والناس جميعًا في حكمها سواسية بالعدل يحكمون.

فإذا رضُوا بالذِّمَّة والعيش في ظل الإسلام ودفع والجزية، فهؤلاء قد بيَّن الله – تعالى – في كتابه في هذه الحال ضوابطَ العلاقة وقواعدها مع غير المسلمين في الجملة مِن أهل الكتاب اليهود والنصارى، فقال – تعالى –: ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [الممتحنة: ٨ – ٩].

قال العلاَّمة ابن سعدي – رحمه الله–: "أي: لا ينهاكم الله عن البِرِّ والصِّلة، والمكافأة بالمعروف، والقسط للمشركين، من أقاربكم وغيرهم، حيث كانوا بحال لم يَنتصبوا لقِتالكم في الدِّين، والإخراج من دياركم، فليس عليكم جناحٌ أن تصلوهم، فإنَّ صِلتهم في هذه الحالة لا محذورَ فيها ولا مفسدة، كما قال – تعالى – عن الأبوين المشركَيْن إذا كان ولدهما مسلمًا: ﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ [لقمان: ١٥]"[٢].

وقال العلاَّمة ابنُ كثير – رحمه الله –: "أي: لا ينهاكم عن الإحسانِ إلى الكَفرة الذين لا يقاتلونكم في الدِّين، كالنساء والضَّعَفة منهم، ﴿ أَنْ تَبَرُّوهُمْ ﴾؛ أي: تُحسِنوا إليهم ﴿ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ﴾؛ أي: تَعدِلوا ﴿ إِنَّ اللهَّ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾.

لكن العجيب بعد هذا أنه لا يزال الحال بهم في تقلب دائم، خاصة بعد أحداث الثورة في البلاد، فقد أظهروا بعضًا من المواقف التي لا تحمد، وتدل على عصبية كافرة بغيضة، كان أولى بهم في بلاد تحميهم وتصون إنسانيتهم أن يخلصوا لها الولاء والسيادة.

وقد نشرت إحدى الجرائد الإلكترونية (مفكرة الإسلام) خبرين عجيبين حقًا:

الخبر الأول يقول: "في أول تصريح لوسائل الإعلام، رفض تواضروس الثاني الذي تولى حديثًا منصب بابا الكنيسة الأرثوذكسية القبطية في مصر أسلمة الدستور.

وقال تواضروس: إن الدستور الذي يصيغه ساسة مصريون لابد أن يراعي كل المصريين وأن الكنيسة ستعارض أي نص يراعي مصلحة الأغلبية المسلمة وحدها، على حد قوله.

وأضاف أن المسيحيين يجب أن يكونوا أكثر إيجابية في السعي لتشكيل الوضع السياسي في مصر بعد انتفاضة العام الماضي، وفقا لرويترز.

وقال البابا: الذي درس الصيدلة في مصر وبريطانيا قبل أن ينضم للكنيسة "لو تم تقديم دستور جيد.. يعني كل إنسان يجد نفسه في هذا الدستور.. بلا شك مصر تتقدم كثيرا."

ومضى يقول: "لو الدستور خاطب جزءا من الشعب وأهمل جزءا آخر هذا يرجع بالوطن إلى الوراء." وفاز أسقف عام كنائس "وسط القاهرة" الأنبا تواضروس (٦٠ عامًا) بمنصب البابا رقم ١١٨، ليحل محل شنودة الثالث بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية، بعد أن وقع الاختيار عليه خلال القرعة الهيكلية".

أما الخبر الثاني: "اعترض القيادي بحزب النور السلفي "إبراهيم الحيوان" عضو مجلس الشعب السابق على تصريحات البابا الجديد للأقباط الأرثوذكس، والتي رفض خلالها أن تكون الشريعة الإسلامية هي المصدر الوحيد للتشريع في الدستور الجديد... وكان تواضروس الثاني قد صرح لوكالة "رويترز" بأنه لابد أن يراعي الدستور الجديد كل المصريين، مشيرًا إلى أن الكنيسة ستعارض أي نص يراعي مصلحة الأغلبية المسلمة وحدها. وأكد بابا الأقباط في تصريحات صحافية الاثنين أن "الشريعة الإسلامية لا يجب أن تكون مصدرًا وحيدًا في الدستور الجديد"، مضيفًا أن الدستور "لابد أن يكون فيه مكان للجميع ولا يفرق بيننا"، على حد قوله....إلخ".

والمتأمل لهذا إذا صح النقل عنه، يرى الادعاء الكاذب في تصويره للواقع على غير صورته، فنصارى مصر حتى في عهود الظل والخور، أكثر حقوقًا من غيرهم من المسلمين، وآمنون في كنائسهم ومعابدهم ووظائفهم، وفي حلهم وترحالهم.

ثم بعد إننا نقول للبابا: لماذا لم تطالب أمريكا ودول أوربا أن تعامل الأقلية المسلمة بالمثل؟!

ولماذا لا تعلن موقفًا صريحًا أنهم أصحاب حقوق مشروعة بمذهب الوطنية الفاسدة؟!

ولماذا لا تعلن صراحة أن الأقليات المسلمة لا تنال هناك أقل حقوقها وإقامة شعائرها وعبادتها؟

مستحيل أن يحكم أمريكا أو دول الغرب الأقلية المسلمة بقوانينهم..

أم إنه العبث السياسي الذي دخل حياة الكنيسة من جديد، والفرقعة الإعلامية الشاغلة عن مهمات البناء والإصلاح.

رسالتنا واضحة، لا سعادة لكم أمة النصارى إلا في ظلال الحكم الإسلامي، والتاريخ شاهد، وعندكم منه ألف شاهد عليكم، أخلصوا لشعب مصر الذي يحميكم، وأعطوا له الولاء والسيادة، تنعموا، ولا تظنوا أن الغرب وأنظمته ستدافع عنكم إلى أبد الزمان.

يقول المستشرق الإيطالي ليون كايتاني:

"لم يضطهد العرب أحداً في السنوات الأولى من أجل الدين كما أنهم لم يعملوا على ضم أحد إلى دينهم ومن ثم تمتع المسيحيون الساميون في ظل الإسلام بعد الفتوحات الأولى بحرية لم يتمتعوا بها من قبل طيلة أجيال عديدة.

في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه انتشرت الفتوحات الاسلامية فتم فتح بلاد الشام واتمام فتح العراق وقد آثر عنه أنه أمر أن يعطى قوم مصابون بالجذام من النصارى الصدقات وأن يجرى عليهم القوت ولم ينس الذميين حتى في آخر وصاياه إذ عهد فيها إلى من يخلفه بما ينبغي القيام به فقال: أوصيه بذمة الله وذمة رسوله أن يوفي لهم بعهدهم، وألا يكلفوا إلا طاقتهم".

ويقول السير توماس ارنولد:

"إن المسيحيين أحرزوا ثـروات، وتمتعـوا بنجـاح عظـيم في عصـور الإسـلام الأولى بفضل ما كفل الإسلام لهم من حرية الحياة والملك والعقيدة، حتـى كـان مـنهم أصـحاب النفوذ العظيم في قصور الخلفاء".

وهذا (روفيلة) يقول:

"عاش القبط في راحة كل باقي أيام الدولة الأيوبيـة في ظـل ملوكهـا الـذين عرفـوا أهميتهم في خدمة الحكومة والوطن فقدروهم حق قدرهم، رغمًا عما كان بين هؤلاء الملـوك والإفرنج من الحروب الدينية المتواصلة، ولم يصب الأقباط في أيامهم ضرر، بل ربـما نـالهم الضرر من ذات الإفرنج الذين ادعوا أن القصد من حروبهم الصليبية حماية الدين المسيحي والمسيحيين".

* * *

الفهرس

الموضـــــــــوع	الصفحة
مقدمة	٥
الفصل الأول	٧
المنهج السلفي بين الواقع والثورات وطريق التغيير والإصلاح	٧
تنبيهات لا بد منها	٩
أحداث تونس ومصر وطريق التغيير والإصلاح	١٥
أولًا: السياسات المعاصرة التي منبعها العلمانية والغرب	١٦
حصاد العلمانية المر	١٧
ثانيًا: قهر الشعوب وهضم حقوقها من أظلم الظلم	١٨
الطريق إلى الإصلاح والتغيير	٢٣
الأول: الوعي الإسلامي الشامل	٢٥
الثاني: الوعي السياسي الشرعي	٢٧
النصر القريب وعد الله ورسوله	٢٨
المنهج السلفي بين العداء والمضاء	٣٠
أولًا: صحوة أشرقت بنور الإسلام.	٣٠
ثانيًا: الحرب على الاتجاهات الإسلامية	٣١
ثالثًا: صور من العداء والبغضاء	٣٣
الأمر الأول: السعي الحثيث لطمس الهوية الإسلامية ومعالمها	٣٣
الأمر الثاني: السعي لتشويه الاتجاهات الإسلامية والسلفية على رأسها	٣٦
رابعًا: المنهج السلفي منهج الإسلام	٣٩
خصائص المنهج السلفي	٤١
١- المنهج السلفي منهج حياة شامل	٤١

الموضـــــــــوع	الصفحة
٢- المنهج السلفي قائم على التأصيل الشرعي	٤٢
٣- المنهج السلفي تجديدي لا تقليدي.....	٤٤
المنهج السلفي ودوره الإصلاحي	٤٥
الموقف من الأحزاب الإسلامية والمشاركة السياسية	٤٩
واقع يتغير وفتاوى متباينة	٤٩
قراءة الأحداث بين الغموض والبيان	٥١
اجتهادات أخرى تريد الخير	٥٢
موقنا من الأحزاب والمشاركة السياسية	٥٣
المشاركة السياسية المشروطة	٥٩
الطريق الصحيح إلى التمكين	٦٢
تنبيهات مهمة	٦٥
الدستور المصري بين المنهج الرباني والاتجاه الإسلامي.....	٦٨
الأمل المفقود	٦٨
التنازل المرفوض.....	٧١
الطريق الموعود	٧٣
أيتها الشعوب الثائرة الطريق من هنا	٧٥
نصر وتمكين وقيادة	٧٥
ابتلاءات وتمحيص	٧٦
انحراف عن المنهج وتآمر عالمي	٧٧
حكم الإسلام والشريعة سعادتكم	٨٢
خلافتكم قادمة فاستعدوا للقيادة	٨٤
هذا هو الطريق	٨٧

الموضـــــــــوع	الصفحة
من آيات الاستخلاف والتمكين في القرآن	٨٩
أولًا: ضرورة تأهيل الأمة لمرحلة الخلافة والتمكين	٨٩
ثانيًا: ماذا تعني الخلافة الإسلامية والتمكين	٩٠
ثالثًا: انحراف واستعجال	٩٢
رابعًا: بشائر القرآن بالاستخلاف والتمكين والظهور	٩٥
خامسًا: وقفة مع آيات الاستخلاف والتمكين	٩٧
الفصل الثاني	١١١
ردود وتعقيبات على المخالفين والعلمانيين	١١١
الفرار العلماني من عبودية الله وحده	١١٣
أولًا: ماذا تعني العلمانية على حقيقتها؟	١١٣
ثانيًا: من مباديء الفكر العلماني في بلاد المسلمين	١١٥
ثالثًا: حصاد العلمانية المر في بلاد المسلمين	١١٧
رابعًا: الفرار العلماني من عبودية الله وحده	١٢٠
عفوًا فضيلة المفتي ليست السلفية كالعلمانية	١٢٣
المفتي واللمز بالسلفية وأتباعها	١٢٣
عفوًا فضيلة المفتي ليست السلفية كالعلمانية	١٢٥
يا دكتور: متى تخرس الأقلام عن قول الزور؟	١٣٤
الأول: الحرب على الاتجاه السلفي ليست جديدة	١٣٨
الثاني: للمرة الثانية عفوًا فضيلة الدكتور عليك الانقياد للحق	١٤٠
الثالث: شباب السلفية أصحاب فكر وتربية ومنهج وليسوا انتهازيين	١٤٣
تصريحات البابا تواضروس الثاني بين الحقيقة والادعاء	١٤٩

الموضـــــــــوع	الصفحة
فهرس الكتاب	١٥٤

***